الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم : التاريخ

رقم :.....

دور الخاصة في السلطة خلال العصر العباسي الأول (132هـ - 232 هـ/750 م -847 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص : تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطلـبة :

- زهرة قريـــــن
- سمية بوقـــرة

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ (ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
د/ : محمد عيساوي	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	رئيسا
أ/ : مراد لكحل	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	مشرفا ومقررا
د/ :مصطفى بن حسين	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	ممتحنا

السنة الجـــامعية

2017-2016

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

سورة التوبة الآية –105–

تشكرات

قال الله تعالى « رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه » سورة النمل الآية 19 .

فالحمد لله حمدا كثيرا ونشكره شكرا جزيلا سبحانه

سهل لنا المبتغى وأعاننا على إتمام هذا العمل وذلل لنا الصعاب وهون علينا المتاعب.

يقال : أن أول العلم الصمت وثانيه الاستمتاع وثالثه التحفظ ورابعه العمل وخامسه الشكر ومن هنا لا يسعني إلا أن نبعث بالشكر الجزيل إلى :

الأستاذ المشرف "مراد لكحل"

الذي أكرمنا بإشرافه على هذه المذكرة والذي لم يبخل علينا بنصائحه السديدة والذي لم يتأخر من تقديم كل الدعم والسند لنا وقد جاد علينا بإرشاداته وتوجيهاته القيمة فكان متواضعا معنا في تعامله ، دقيقا في ملاحظاته ، منضبطا في مواعيده.

كما لا يفوتنا تقديم تشكراتنا إلى من مد يد المساعدة خاصة الأستاذ لخضر بولطيف والأستاذ همال عبد السلام والأستاذ بن مجدوب.

ونتقدم بالشكر الخالص إلى زميلنا الطالب عبد الرزاق خضور الذي مدنا بالعون الكبير وكذا عامل المكتبة المركزية الذي كان له الفضل في إعطائنا الوقت في إنجاز هذا العمل البسيط .

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بالشكر إلى كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية وإلى قسم التاريخ .

وإلى طلبة معهد العلوم البدنية والرياضية الذين ساعدونا في كتابة بعض اجزاء هذه المذكرة .

وإلى كل من مد لنا يد العون ولو بكلمة طيبة .

شكرا

إهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... ونصح الأمة ... إلى نبي الرحمة ونور الهدى "سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار ... إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار ...

أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك تحوم اهتدي بها

اليوم وفي الغد وإلى الأبد والدي العزيز "أحمد" حفظه الله.

إلى ملاكي في الحياة... إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني ... إلى سيمة الحياة إلى كل من دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة " زبيدة "حفظها الله.

إلى إخوتي ورفقاء دربي في هذه الحياة ، معكم أكون أنا وبدونكم أكون مثل أي شيء إلى من أرى التفاؤل بعينهم والسعادة في ضحكتهم في نهاية مشواري أريد أن أشكركم على مواقفكم النبيلة أخي: " فارس " " محمد"

إلى أختي التي رافقتني منذ أن حملت حقيبتي ومعكي سرت الدرب خطوة بخطوة ومازلتي ترافقينني حتى الآن ... إلى شمعة متقدمة تنير ظلمة حياتي شكرا لدعمكي لي أختي "شيماء".

إلى من تحدى وتعب لأتعلم ألا وهو عمي الصغير الذي هو بمثابة الأخ الأكبر شكرا لدعمك لي "سمير".

إلى جدتيا العزيزتين : " طاوس " و " نوة" أطال الله في عمرهما .

إلى زوجة أخي التي قاسمتني السيل للوصول إلى تقديم هذا العمل " ريمة".

إلى الكتاكيت الصغيرة " فريدة، غفران ، مريم ، دعاء ، مريم ، متاب ، إيمان ، مرام ، فطيمة ، رفيف، عبد الحي ، مأمون إسحاق ، معاذ ، نجم الدين ، وسيم ، زكريا ، جلول، إسحاق " أنتم روح الحياة وعطرها وابتسامتهم الجريئة التي تنبع من نبع صافي كله أمل وحياة حفظكم الله ورعاكم .

إلى رفيقة دربي التي تحلو بالإخاء وتميزت بالوفاء والعطاء ، إلى نبع الصدق الصافي ، إلى من معها سعدت وبرفقتها في درب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانت معي على طريق النجاح والخير إلى من عرفت كيف أجدها وعلمتني ألا أضيعها صديقتي غاليتي " مريم بن السعدي ".إلى الإنسانة التي أعتز بصداقتها والتي شاركتني أفراحي وأحزاني "زهرة قرين".

إلى من أفتخر بصداقتهن اللواتي عشت معهن أجمل اللحظات وأصعبها " سارة سماح ، صبرينة أونيسي ، أمال شخاب".

إلى كل من أعيش في قلوبهم ويعشون في قلبي...إلى كل من ساعدني ولو بابتسامة أو كلمة طيبة إلى كل الأخوة والأخوات إلى كل زميلاتي في مراحل دراستي، إلى كل أصدقائي ، إلى كل من من بعيد أو قريب ، وإلى كل من امتدت يده إلى السماء داعيا لي الناجح .

سمية بوقرة

http://maomao526.yeah.net

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

سورة التوبة الآية –105–

تشكرات

قال الله تعالى « رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه » سورة النمل الآية 19 .

فالحمد لله حمدا كثيرا ونشكره شكرا جزيلا سبحانه

سهل لنا المبتغى وأعاننا على إتمام هذا العمل وذلل لنا الصعاب وهون علينا المتاعب.

يقال : أن أول العلم الصمت وثانيه الاستمتاع وثالثه التحفظ ورابعه العمل وخامسه الشكر ومن هنا لا يسعني إلا أن نبعث بالشكر الجزيل إلى :

الأستاذ المشرف "مراد لكحل"

الذي أكرمنا بإشرافه على هذه المذكرة والذي لم يبخل علينا بنصائحه السديدة والذي لم يتأخر من تقديم كل الدعم والسند لنا وقد جاد علينا بإرشاداته وتوجيهاته القيمة فكان متواضعا معنا في تعامله ، دقيقا في ملاحظاته ، منضبطا في مواعيده.

كما لا يفوتنا تقديم تشكراتنا إلى من مد يد المساعدة خاصة الأستاذ لخضر بولطيف والأستاذ همال عبد السلام والأستاذ بن مجدوب.

ونتقدم بالشكر الخالص إلى زميلنا الطالب عبد الرزاق خضور الذي مدنا بالعون الكبير وكذا عامل المكتبة المركزية الذي كان له الفضل في إعطائنا الوقت في إنجاز هذا العمل البسيط .

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بالشكر إلى كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية وإلى قسم التاريخ .

وإلى طلبة معهد العلوم البدنية والرياضية الذين ساعدونا في كتابة بعض اجزاء هذه المذكرة .

والى كل من مد لنا يد العون ولو بكلمة طيبة .

شكرا

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... ونصح الأمة ... إلى نبي الرحمة ونور الهدى "سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار ... إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار ...

أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك تحوم اهتدي بها

اليوم وفي الغد وإلى الأبد والدي العزيز "أحمد "حفظه الله.

إلى ملاكي في الحياة... إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني ... إلى سيمة الحياة إلى كل من دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة " زبيدة "حفظها الله.

إلى إخوتي ورفقاء دربي في هذه الحياة ، معكم أكون أنا وبدونكم أكون مثل أي شيء إلى من أرى التفاؤل بعينهم والسعادة في ضحكتهم في نهاية مشواري أريد أن أشكركم على مواقفكم النبيلة أخي: " فارس " " محمد"

إلى أختي التي رافقتني منذ أن حملت حقيبتي ومعكي سرت الدرب خطوة بخطوة ومازلتي ترافقينني حتى الآن ... إلى شمعة متقدمة تنير ظلمة حياتي شكرا لدعمكي لي أختي "شيماء".

إلى من تحدى وتعب لأتعلم ألا وهو عمي الصغير الذي هو بمثابة الأخ الأكبر شكرا لدعمك لي "سمير".

إلى جدتيا العزيزتين : " طاوس " و " نوة" أطال الله في عمرهما .

إلى زوجة أخي التي قاسمتني السيل للوصول إلى تقديم هذا العمل " ريمة ".

إلى الكتاكيت الصغيرة " فريدة، غفران ، مريم ، دعاء ، مريم ، متاب ، إيمان ، مرام ، فطيمة ، رفيف، عبد الحي ، مأمون إسحاق ، معاذ ، نجم الدين ، وسيم ، زكريا ، جلول، إسحاق " أنتم روح الحياة وعطرها وابتسامتهم الجريئة التي تنبع من نبع صافي كله أمل وحياة حفظكم الله ورعاكم .

إلى رفيقة دربي التي تحلو بالإخاء وتميزت بالوفاء والعطاء ، إلى نبع الصدق الصافي ، إلى من معها سعدت وبرفقتها في درب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانت معي على طريق النجاح والخير إلى من عرفت كيف أجدها وعلمتني ألا أضيعها صديقتي غاليتي " مريم بن السعدي ".إلى الإنسانة التي أعتز بصداقتها والتي شاركتني أفراحي وأحزاني "زهرة قرين".

إلى من أفتخر بصداقتهن اللواتي عشت معهن أجمل اللحظات وأصعبها " سارة سماح ، صبرينة أونيسي ، أمال شخاب ".

إلى كل من أعيش في قلوبهم ويعشون في قلبي...إلى كل من ساعدني ولو بابتسامة أو كلمة طيبة إلى كل الأخوة والأخوات إلى كل زميلاتي في مراحل دراستي، إلى كل أصدقائي ، إلى كل من من بعيد أو قريب ، وإلى كل من امتدت يده إلى السماء داعيا لي الناجح .

سمية بوقرة

http://maomao320.yeah.net

الإهداء

بسم لله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي وفقني في دراستي حتى وصلت الجهد اليوم بداية اهدائي إلى من أوصانا الله بالإحسان إليهما وأمرنا بطاعتهما لقوله تعالى :"وبالوالدين إحسانا"

إلى التي علمتني أن الحياة حب وان الحب عطاء أمي الحنونة **"كريمة"**

إلى الذي علمني أن الحياة كد وان الكد عمل أبي العزيز **"رابح"**

تحية من القلب أزفها إلى ارق شخصين أمي وأبي حفظهما الله وأطال في عمريهما وبارك فيهما

تحية من قلبي أزفها إلى جدتي التي اشتاقت العين لرأيها جدتي **"السعدية"** رحمها الله

الى جدتي الحنونة والطيبة صاحبة القلب الطبيب **"طاوس"** أطال الله في عمرك

إلى نور حياتنا وبهجة ضحكتنا وسر سعادتنا صاحب قلب طيب وحنون **رياس "سيف الدين"** أخي العزيز ربي يخليك ويحفظك إن شاء الله

إلى أخواتي أقول فيهن ماشاء الله **"منى ،إيمان،غنية ،خلود،رميسة"**

ربي يخليكم ويحفظكم أن شاء الله يااعز الناس على قلبي

إلى كتاكيت العائلة «**أدام،ورائد عبد الودود"**

إلى عائلتي **"قرين،وشيخ"**

إلى أزواجهن **"رابح ،وعادل"**

إلى عمتي نعيمة ربي يحفظك ويخليك شكرا على كل شيْ

إلى خالتي حياة شكرا على كل النصائح التي قدميها لي ربي يعطيك ماتتمناي

إلى صديقتي دربي **"سمية"** التي كان لها الفضل في انجاز هذا البحث شكرا على كل شيْ

فلا أنسا رفيقات الدرب"ربحية،ماجدة ،هدى ،ابتسام ،ذهبية،أمينة ،عائشة"ربي يخليكم يااعز ناس على قلبي

فلايمكن أن أنسا اهدائي الخاص إلى أستاذي الفاضل" **مراد لكحل"** شكرا على النصائح التي قدمتها لي حفظك الله وأطال في عمرك شكرا جزيل

إلى كل أشخاص الذين كانوا أعزاء على قلبي

"زهرة قرين"

مقدمـــة

مقدمة:

إن المتأمل في الدراسات التاريخية التي تناولت العهد العباسي ككل وما كان منها من أحداث يجد أن أغلب هذه الدراسات تكاد تقتصر على سرد الأحداث السياسية وما تعلق بها من فتن ونكبات، وتسلط الضوء على الخلفاء دون إسهاب في تحديد مواقف رجال عملوا في الخفاء وكان لهم دور بارز في الأحداث.

فمن بين أبرز مظاهر الدولة الإسلامية في العصر الوسيط أن تعج بلاطاتها بمختلف مظاهر الأبهة والعظمة، إذ أن قوة الدولة تستلزم ذلك زيادة على أنها ظاهرة عامة اشتركت فيها مختلف الدول، ومن بين مظاهر العظمة أن يتخذ الخليفة موظفين يتولون مختلف الخطط لتسيير الدولة، وقد تكلمت مصنفات النظم الإسلامية بإسهاب عن أبرز مظاهر أبهة الدولة بصفة عامة، ومن هؤلاء من يتصف برصيد علمي كبير يؤهله لتولي ذلك المنصب فيصبح هو بذلك من خاصة الملك يشاركه أسراره ويستشيره في قراراته، ويصبح من أهم دواليب تسيير الدولة.

لذا كان إختيارنا لموضوع **دور الخاصة في السلطة خلال العصر العباسي الأول 132هـ -232هـ** من منطلق أن هذا الموضوع يحاول البحث لإبراز الدور الذي لعبه فئة الخاصة في السلطة وسيرورة الأحداث.

ولعل موضوعنا هذا يفرض علينا إشكاليات متعددة منها: ما هو الدور الذي لعبه الخاصة في السلطة إبان هذه الفترة؟ وإلى أي مدى نجحت إسهاماتهم وإرشاداتهم في حمل الخلفاء على أحسن الأمور؟ وهل كان لهم دور في تحسين الخلافة أو خلق فجوة بين السلطة والمجتمع؟

ولعل هدفنا من هذه الدراسة كما سبق وأن أشرنا هو محاولة تسليط الضوء على أهم مواقف العلماء والوزراء والكتاب وما صدر عنهم من قرارات أثرت في مجريات الأحداث، إذ لا ينبغي في ميزان البحث العلمي أن نهمل مثل هذه المواقف التي أثرت في سيرورة الأحداث.

فأهمية الموضوع تكمن في محاولة تقديم مادة جاهزة عن هذه المواقف من مجموعة من شتات المصادر المتنوعة ، مستخدمين في ذلك المنهج التاريخي وآلياته المختلفة من استقراء ورصد للمواقف وتحليل ونقد.

وقد عالجنا هذا الموضوع وفق خطة تتكون من تمهيد وثلاثة فصول: أما التمهيد فتضمن تحديدا وحصرا لمصطلح الخاصة وكذلك مفهوم السلطة والعلاقة بينهما والتعريف بأبرز وأهم نماذج الخاصة.

في حين كان عنوان الفصل الأول العلماء بين تأييد الخليفة والمسؤولية العلمية تطرقنا فيه إلى علماء السلطة ودورهم في العصر العباسي الأول، بالإضافة إلى المعارضين وأثرهم في السلطة، وكذلك تأثر المعتزلة وموقفهم من أهل السنة.

أما الفصل الثاني فناقشنا فيه موضوع الوزراء وتأثيرهم في السلطة خلال العصر العباسي الأول وكان الحديث فيه عن البرامكة واستحواذهم على السلطة، ثم تطرقنا إلى آل سهل ودورهم في الصراع بين الأمين والمأمون.

أما الفصل الثالث فتضمن كتاب الخلفاء العباسيين وتأثيراتهم السياسية وكان ذلك من جانب تعدد تخصصات الكتاب ومهامهم وكذلك تطرقنا إلى التدخلات السياسية للكتاب في العصر العباسي الأول، وختم البحث بذكر أهم النتائج المتوصل إليها.

وكان اعتمادنا في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع التي خدمتنا ووفرت مادة غزيرة وأهمها تاريخ الطبري: الذي يعتبر موسوعة تاريخية كبيرة اعتمد النظام الحولي كان يورد الحادثة أكثر من رواية دون ترجيح أي منها معتمدا على الإسناد حيث استفدنا منه في التمهيد والفصلين الأولين، وكذا ابن الأثير الكامل في التاريخ الذي يعتبر من المصادر التاريخية البارزة الذي سار على النظام الحولي حيث استفدنا منه في الفصل الثاني.

وكان اعتمادنا أيضا على كتاب الجهشياري الوزراء والكتاب الذي وفر لنا قائمة بالكتاب والوزراء والذي أفادنا كثيرا في الفصل الثاني، وأخذنا منه بعض المعلومات عن الكتاب في الفصل الثالث.

ومن كتب التراجم اعتمدنا على الذهبي سير أعلام النبلاء وكذا كتب الجغرافيا اليعقوبي معجم البلدان الذي كان حاضرا في التعريف بالأماكن الجغرافية. بالإضافة إلى العديد من المصادر التي كانت سندا لنا في الدراسة.

أما أهم المراجع التي أفادتنا واستقينا منها: كتاب عبد الحكيم عبد الحق العلماء والسلطة: جاء كتابه سندا للدراسة خاصة في الفصل الأول حيث أفادنا بالكثير من المعلومات حول العلماء ودورهم في السلطة بين مؤيدين ومعارضين، وكذا سلمان كروى: نظام الوزارة في العصر العباسي الأول حيث اعتمدنا عليه في الفصل الثاني في الحديث عن وزراء البرامكة وآل سهل وتأثيرهم في السلطة، وعلي اومليل: السلطة الثقافية والسلطة السياسية والذي أسهب في الحديث عن التدخلات السياسية للكتاب منهم كتاب الرسائل والخراج وغيرهم.

أما بالنسبة للدراسات السابقة فنجد كتاب عبد الحميد العابد: علاقة فقهاء السنة بالدولة العباسية في عصرها الأول 132هـ-232هـ والذي اقتصر على ذكر العلماء ودورهم كجزء من الخاصة،هذا وقد اقتصرنا في البحث على ذكر نماذج تلك المواقف مركزين على تلك التي كان لها عميق الأثر في السلطة والأحداث.

واجهتنا جملة من الصعوبات تجسدت في المعيقات الشخصية التي أثرت على سيرورة انجاز البحث، إلى جانب الصعوبات العلمية والتي تمثلت في أن أفاق هذا الموضوع واسعة جدا ومسائله متشعبة وكثيرة يصعب لمّ شتاتها، وكذلك طبيعة الموضوع تقتضي قراءة واسعة في كثير من المصادر لأن كل مصدر يحمل رأي مخالف للرأي الآخر.

هذا ونشير إلى أننا عمدنا إلى عدم إنجاز فهرس للأعلام والأماكن لما قد يكون بعد المناقشة من تصويبات وتصحيحات وتقديم وتأخير.

في الأخير لا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان والامتنان إلى أستاذنا.

تمهيد

في البداية لابد من تحديد مدلول مصطلحي السلطة والخاصة وتاريخهما، إذ يشكلان محوري عنوان البحث في محاولة استنباط جدلية العلاقة المفترضة بينهما في التاريخ الإسلامي.

1/ السلطة:

الإنسان مدني بالطبع مقولة قالها الحكماء قديما، للتذليل على ضرورية العمران البشري الذي يأتي تدريجيا كنتيجة طبيعية للاجتماع الإنساني، هذا الاجتماع البشري لابد من سياسة ينتظم بها أمره وسلطة تسوس شؤونه ومعالجة وتقنن أفعاله.

ومن هنا أصبح لكل تجمع بشري سلطة تسهر على رعاية مصالحه، أين كان نوع هذا التجمع، وتطور شيئا فشيئا من السلطة داخل الأسرة الواحدة إلى السلطة داخل العشيرة والقبيلة إلى الإمارة ثم إلى سلطة الدولة[1].

أ/ التعريف اللغوي:

مصطلح سلطة مشتق من السلاطة أي التمكن من القهر[2]، الفعل هو سَلَطَ، يقال سَلَطَتُهُ فَتَسلَط أي يحكم ويمكن وسيطر، ومنه جاءت لفظة سلطان بمعنى الحاكم المسيطر أو القوي القاهر ولقد ورد في القرآن الكريم عدة مواضع منه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[3] وقوله: ﴿**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا**﴾[4].

وقوله أيضا:﴿ **هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾[5].

---

[1] ابن الأزرق الأندلسي، بدائع السلك في طبائع السلك، ج1، ص 116.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج38، ص 2065.

[3] سورة الحجر، الأية 42.

[4] سورة الإسراء، الآية 33.

[5] سورة الحاقة، الآية 29.

ومعظم القواميس والمعاجم القديمة منها والحديثة، تجمع على أنها تحتمل ثلاث معان: القهر، القوة، السيادة.

ب/ التعريف الإصطلاحي:

السلطة هي القوة المناط بها إدارة المجتمع الإنساني وحكومته، وهي من الضروريات التي لا يستغني عنها أي أنها عبارة عن واقع اجتماعي، وجودها ضروري حيثما كان هناك تجمع بشري، لذلك قيل إن السلطة ليست مفهوما سياسيا مطلقا، وإنما هي مفهوم يتعلق بنشوء ظاهرة خضوع المجموعات البشرية وطاعتها لفرد أو مجموعة فيما يقرره من أوامر ونواهي[1].

وتمثل الدولة أو بعبارة أخرى الخليفة السلطة التي لا تعلوها سلطة، وهذا لامتلاكها السيادة ووسائل الإكراه والقوة لتطبيق القوانين في المجتمع.

2 _الخاصة:

1_ تعريف اللغوي:

مصطلح الخاصة مشتق من مصطلح الخَصُوصِيَّة والخُصُوصية والخِصيَّة والخِصي وهي تمد وتقصر، ويقال خاصة بين الخصوصية، وفعلت ذلك بك خِصيَّة، والخاصة خلاف العامة، من تخصه لنفسك ومعنى السيادة بالأعمال والانكماش في الأعمال الصالحة والاهتمام بها[2] قبل وقوعها

ب/ التعريف الاصطلاحي:

الخاصة هي الطبقة الحاكمة التي بيدها مقاليد الأمور في البلاد، والذين يقربهم الخلفاء بقربهم إليهم ويجعلونهم من خواصهم، ويقربوهم ويبقون في مجالسهم وهم العلماء والوزراء والكتاب والقضاة والحجاب، ونجد مصطلح الخاصة حاضرا في دار

[1] ابن الأزرق، المصدر السابق، 220.

[2] ابن منظور، المصدر السابق،ج3، ص 25.

الخلافة العباسية إذ كان هناك باب يدخل منه الخاصة سمي بباب الخاصة[1]، وسمي بباب بدر غلام المُعتمد[2].

وقد أشار الصابي عند كلامه عن طبقة الخاصة بقول:" هم الوزراء والكتاب والأمراء والأشراف والقضاة[3].

ولقد كان الناس في العصر العباسي طبقتين خاصة وعامة وتحت كل منهما طبقات وأتباع وفروع، كان للخاصة خمس طبقات الخليفة، وأهله رجال دولته وأرباب البيوتات وتوابع الخاصة، فرجال الدولة يريد بهم الوزراء والعلماء والكتاب ومن جرى مجراهم من أرباب المناصب العالية، وكان أكثرهم إبان العصر العباسي المتقدم من الموالي وخصوصا الفرس كالبرامكة وآل ربيع وآل سهل وغيرهم وكانوا يختلفون نفوذا وسطوة باختلاف الخلفاء وتفاوت الأدوار.

فالخاصة في المجتمع العباسي هم أصحاب الخليفة من ذوي القراءة ومن رجالات الدولة البارزين ممن اشرنا إلى طبقاتهم، إذ كانوا يتمتعون بالقوة التي تتباين تصاعدا وتنازلا حسب الصلاحيات التي أعطاهم إياها كل خليفة فهو مصدر السلطة[4]، ويندرج ضمن التعريف الاصطلاحي للخاصة أنواع ومن بين أنواع الخاصة نجد:

3/ العلماء:

جمع عالم وعالم من يقول إلا علما وعلماء لعلماء لأن العلم معلمة لصاحبه فهو من الجهل ونقيضه وعلمت الشيء أعلمه علما إذا عرفته وعلم وقفة إذا تعلم وتفقه[5].

---

[1] رقاد تقي الدين عارف، العامة في بغداد، ج7، ص 150.

[2] فهمي سعد، العامة في بغداد في القرنين 3،4هـ، ص35.

[3] الصابي، رسوم دار الخلافة، ص120.

[4] رقاد تقي الدين، المرجع السابق، ص 151،152.

[5] ابن منظور، المصدر السابق،ج4، ص 383.

وقد بين القرآن الكريم أهمية العلم والعلماء في كثير من آياته فأثنى على المتصفين به في غير آية من القرآن الكريم، ووصف أولئك الذين كرسوا حياتهم لتحصيل العلوم الدينية الذين جهدوا أنفسهم في تحصيلها بحثا وتمحيصا وتدقيق وتحريا بالعلماء، مشيرا إلى أنهم أكثر من سواهم أهلية بما عملوا لفهم الدين وخشية الله تعالى حق خشيته[1] فقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا** ﴾[4].

ومصطلح العلماء تردد كثيرا على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عمن يأتون من بعده، ممن يحملون الدين إلى أجيال الأمة، ويقومون به أولئك الذين سخروا حياتهم وذللوا أنفسهم للعلم، رفعوه فرفع شأنهم، فقال صلى الله عليه وسلم:" إن العلماء هم ورثة الأنبياء وإنا الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[5]، وورد لفظ العلماء كذلك في قوله صلى الله عليه وسلم:" إن الله لا يفيض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يفيض العلم بفيض العلماء"، وقد كان مصطلح العلماء تداولا في العصر العباسي الأول يوصف به القضاء ليشتغلون بالعلوم الدينية مثل الحديث والفقه والتفسير والمغازي والسير واللغة المتعمقون فيها"[6]

---

[1] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، العلماء والسلطة، ص 19.

[2] سورة فاطر، الآية 28.

[3] سورة آل عمران، الآية 18.

[4] سورة آل عمران، الآية 08.

[5] عبدالحكيم عبدالحق، المرجع السابق، ص20.

[6] المرجع نفسه، ص21.

4/ لفظ الوزارة:

مشتق من الوزر وهو الثقل لأن يحمل الثقل عن الملك الموزور له[1]، ومنه قوله تعالى:﴿ **وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ** ﴾[2]، أي أثقالا من أمتعتهم وخلتهم، والوزارة من الوزر أي النقل وقيل الوزر أي الملجأ وقيل الأزر أي الظهر لأن الخليفة يشهد الظهر به، وهو أيضا مأخوذ من الوزر فيكون المعنى أنه يرجع ويلجأ إلى رأيه وتدبيره[3]، ومنه قوله تعالى:" كلا لاو زر" أي لا ملجأ إلى رأيه ومعونته لأن عليه مدار السياسة، وإليه نفوض الأموال وظهر كذلك بمعنى الملك يقوى بوزيره كما يقوي البدن بالظهر[4].

والوزارة حسب قول ابن خلدون:" أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية" لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة فطبيعة عمل الوزير أي يعاون الخليفة بشيء الأمور، وهي بهذا الشمول تفوق المناصب الأخرى التي تخصصت كل منهما لعمل معين كالكتابة والحجابة..... الخ، ويعتبر الوزير أهم موظف في الدولة بعد الخليفة[5].

يقول ابن طباطبا:"إن الوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس، فأما قبل ذلك، فلم تكن متقنة القواعد ولا مقررة القوانين، فلما ملك بنو العباس فقررت قوانين الوزارة وسمي الوزير وزيرا، وكان قبل ذلك يسمى كاتبا أو مشيرا[6].

ومن هذا القول يبين لنا أن منصب الوزارة كان قبل العباسين ولم يعرف بهذا الاسم إلا أبي سلمة الخلال الذي عرف بوزير آل محمد وإنما قبله كان يعرف كاتبا أو

---

[1] أبو المنصور الثعالبي، تحفة الوزراء، ص 38.

[2] سورة طه، الآية 87.

[3] إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص77، 78.

[4] الماوردي، الأحكام السلطانية، ج1، ص20

[5] ابن خلدون، المقدمة، ص 203.

[6] الفخري، الآداب السلطانية، ص 120.

مشيرا، دون أن يكون لهم التسمية، ويعتبر أن العصر العباسي هو الذي وضع قواعد وأسسا لمنصب الوزارة الذي ظهر مستقلا في العصر العباسي، وبالتالي الوزارة كمؤسسة بدأت تمارس دورها وتحدد طبيعتها في مطلع العصر العباسي[1].

5/ الكتاب:

قديما كانت الكتابة في دواوين الدولة هي أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة، نظرا للمكانة والمنزلة العليا التي ترأسها الكتاب في إدارة سياسة الدولة وقضايا الحكم، وكانت الكتابة مرقاة للوصول إلى سدة الوزارة[2].

حيث عرفت الكتابة أصلا في الحكم العربي منذ العصر الجاهلي خاصة في الإمارات الحدودية، ثم رأيناها مع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يسمى كتبه الوحي الذين كان منهم كتب الرسائل حينما بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى حكام البلاد المجاورة رسائل تدعوهم إلى الإسلام، وكانت نشأتها عند العرب من أصل فارسي، حيث كانت ملوك فارس تسمى كتاب الرسائل تراجمه الملوك[3].

لقد كانت طبقة الكتاب ذات مكانة كبيرة في الدولة العباسية وحتى كان الكاتب ذا علم واسع وثقافة عارضة، لأنه يقوم بتحرير الرسائل الرسمية والسياسية داخل الدولة وخارجها، كما يتولى نشر القرارات والبلاغات والمراسيم بين الناس، ويجلس على منصب القضاء بجوار الخليفة لينظر للدعاوي والشكاوي ثم تختمها بخاتم الخليفة.

ونجد على إثر اتساع الدولة العباسية واتساع إدارتها زاد عدد كتاب الدواوين وتخصصاتهم ولعل أشهرهم يحي بن خالد البرمكي في عهد الرشيد، والفضل والحسن

---

[1] مصطفى علم الدين، الزمن العباسي، ص 32،33.

[2] إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 85.

[3] مصطفى علم الدين، المرجع السابق، ص 37.

ابنا سهل، وأحمد بن يوسف في عهد المأمون، ومحمد بن عبد الملك الزيات، والحسن بن وهاب وأحمد بن المدير في عهد المعتصم والواثق[1] .

واختلفت منزلة الكاتب وقدره بحسب تخصصه فنجد كتاب الدواوين ليسوا في المنزلة سواء وفقا لطبيعة العمل الديوان الذي يعمل فيه فثمة كاتب الخط، وهو الذي يتبع بخطة الحسن مختلف الرسائل والوثائق الرسمية وكاتب اللفظ وكاتب العقد أو الحساب وكاتب الحكم وهو من أنواع الكتاب، لأن موضوعه تطبيق أحكام الشريعة والأحكام السلطانية وكاتب التدبير أو الوزير، وهو أعلى مراتب صناعة الكتابة وكان له نفوذ واسع في الدولة العباسية[2].

[1] المرجع نفسه، ص 49.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج 1، ص 69، 70.

الفصل الأول

العلماء بين تأييد الخليفة والمسؤولية العلمية

تفرعت مواقف العلماء تجاه الحياة السياسية إلى ثلاثة أقسام ، وإن العلماء وإن كانوا إلى حد كبير قد اتفقوا في مواقفهم من الحياة السياسية في العصر العباسي الأول، إلا أنهم انقسموا في طرائق وأساليب التعبير عن هذه المواقف، وفي الأدوار التي قاموا بها في الحياة السياسية، فمنهم من اتخذ أسلوب المشاركة المباشرة في أجهزة الدولة، وقام بدوره من خلالها، وهو ما يندرج في منهج تغيير المنكر ضمن مفهوم التغيير باليد.

ومنهم من رفض العمل في أجهزة الدولة، لكنه ظل يشارك في الحياة السياسية من خلال ما يقدمه من نصح ووعظ وتوجيه للخلفاء والأمراء وفق منهج هادئ وهو ما يدخل ضمن مفهوم التعبير باللسان، لكن الفريقين كانا مع ذلك ضمن التيار الموافق للخلفاء وإن ثمة فريقا من العلماء لم يضن بتوجيهاته ونصائحه للخلفاء، رغم معارضته لجوانب من سياستهم، إلا أنه كان يقدمها ضمن قالب قاس شديد، فاتسم أسلوبه بالغلظة والعنف إلا أنه لم يضل إلى الخروج على الخلفاء.

وأن فريقا ثالثا من العلماء اتخذ منهجا انعزاليا عن الحياة السياسية وعن الحياة العامة أحيانا، وإنما انقطع أفراده إلى العبادة أو انصرفوا إلى تحصيل العلوم وربما أدت إحباطات عدم الحصول على نتائج عاجلة في تغيير ما رأوه منكرا في الحياة السياسية إلى اعتزالها، فضلا على أن بعض أفراد هذا الفريق من العلماء اعتزلوا الحياة العامة منذ البداية وانقطعوا إلى العبادة، وإلى تحصيل العلوم ونشرها وما قام به هذا الفريق يدخل في منهج تغيير المنكر في سياق التغيير بالقلب.

نظر العلماء إلى الخليفة على أنه قوام دولة الإسلام،لانه يقوم بتفويض من المسلمين لإقامة الدين وحكم الناس به، كما استنبط العلماء وجوب الخلافة شرعا وأهميتها[1] من قوله تعالى ﴿إني

[1] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 118، 119.

جاعل في الأرض خليفة﴾[1] وقوله عز وجل ﴿جعلكم خلائف الأرض﴾[2]، وإن كان بعض قد رأوه المقصود بالأمين الخلافة العامة للآمين لا للخاصة[3].

ولا يختلف علماء العصر العباسي الأول لم تختلف نظرتهم عن سواء المسلمين جميعا فعدَوه واجبا شرعيا، لأن الخليفة نائبا عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا به[4]، وعد أحمد بن حنبل بقاء الناس بغير إمام فتنة، بل كانت نظرهم أصلا لرؤية المسلمين فيما بعد لأهمية الخليفة والخلافة، خصوصا وأن هذا العصر اشتمل على كبار علماء الأمة وحفل بالفعاليات العلمية المختلفة، وكان الرحم الذي تخلقت فيه العلوم الشرعية على أيدي هؤلاء العلماء.

وقد كان للخلفاء مكانة لدى العلماء حيث كان هؤلاء ينظرون إلى الخلفاء ويدركون أهمية الدور الذي يقومون به في حياة الأمة وسياستها، فقد حاز الخلفاء على مكانة كبيرة في نفوس العلماء ليس ذلك فحسب، بل عمل العلماء من خلال المواعظ والخطب وحلق العلم والمصنفات التي أخرجوها على تعميق مكانة الخلفاء في نفوس الناس وحثهم على توقيرهم واحترامهم[5]، وقد أوصى أبو حنيفة تلميذه أبا يوسف بتوقير السلطان وتعظيم منزلته، وكان الإمام أحمد بن حنبل يدعو المعتصم بأمير المؤمنين بالرغم مما لقاه على يده من التعذيب[6].

قد نهج العباسيون طرقا عديدة وذلك لتأكيد حقهم في الخلافة، وعدوا خروجهم على الأمويين مجرد استعادوا حقهم وإرجاع الأمور إلى نصابها، وأن الأمويين ليسوا سوى مغتصبين للخلافة وذلك من خلال خطبة أبي العباس حيث قال: " ورد الله علينا حقنا، وتدارك بني أمتنا وتولى أمرنا والقيام بنصرنا للمن بناءا على الدين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا"[7].

---

[1] سورة البقرة، الآية 30.

[2] سورة الأنعام، الآية 165.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص 218.

[4] عبدالحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 120.

[5] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق،ص 135.

[6] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج38، ص 350.

[7] ابن كثير، البداية والنهاية،ج1، ص41 .

ولنرى علماء العصر العباسي الأول غير متفادين وراء المسألة الوطنية ادعاها العباسيون، وهذا ما أشارت إليه مختلف الروايات التاريخية، بل إن هذه الروايات تشير إلا أن العلماء لم يتداولوا على ألسنتهم موضوع الوصية بل ولم يعولوا عليها في شرعة الخلافة العباسية، وهكذا ساق العباسيون ما استطاعوا من حجج وبراهين ومبررات تسوغ لهم الخلافة[1].

فلقد تربع العباسيون على الخلافة بعد إعداد طويل ودعوة متظلمة، انتهت بمعارك ضارية مع الأمويين قتل فيهم كثير من المسلمين وطرد فيها الأمويين وانتهبت أموالهم، وهنا وقف العلماء يراقبون كل ذلك، ثم رأوا العباسيين يكررون ذات التجربة الأموية في الحكم وأتوا بمبررات تغييرها، وكل هذه المبررات وصلت إلى مسامع العلماء بشرعيتهم في الخلافة بالوصية والقرابة.

لقد رأى العلماء مواصفات محددة في الخليفة لم تكن خيالية ولا مستحيلة التطبيق فكانت أعيان العلماء مشدودة على نماذج وسير من كانوا قبلهم من أمثال ونماذج أبي بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بم أبي طالب، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم[2]، كان العلماء يقيسون عليهم ويقارنون ما عليه الخلفاء من صفات بدأت تنحصر وتظهر في معاصريهم من الخلفاء، وأصبح الخلفاء يستخدمون الحيل والأساليب السياسية للوصول إلى غايتهم وكيف انقلبت الخلافة إلى الملك وكيف كان الخلفاء مثل ذلك يؤثرون الالتزام يقيم الدين على مصالحهم الشخصية[3].

فرأى العلماء أن العباسيين لم يأتوا بجديد وأنهم أعادوا التوازن المفقود للحياة السياسية وكرروا ذات التجربة الأموية بل وكانوا أشد وأقسى، وقد عبر عن ذلك عرابي بالشام قال له أبو جعفر المنصور:" إحمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا_ أهل البيت_ فقال الأعرابي:" إن

[1] ابن عساكر، المصدر السابق،ج38، ص173، ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج 5، ص408.

[2] ابن خلدون، المقدمة، 207،208.

[3] عبد الحكيم، المرجع السابق، ص 74.

الله لا يجمع علينا حشفاً وسوء كيل ولا ينكم والطاعون"، ومهما كان هذا الأعرابي مبالغ، فإن العلماء قد عبروا في غير مقام عن رؤيتهم لشرعية الثورة والدولة العباسية[1].

أولا: علماء السلطة ودورهم في العصر العباسي الأول:

انقسم المشاركون من العلماء في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول إلى قسمين فكان منهم من شارك بشكل مباشر من خلال العمل في أجهزة الدولة وفي الولايات الأخرى وهو ما يدخل ضمن التغيير باليد بمنهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم من شارك من خلال النصح والوعظ وهو ما يمكن أن يدخل في إطار التغيير باللسان[2]،حيث عمل عدد من العلماء في أجهزة الدولة المختلفة كانت لهم أدوار مختلفة في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول من خلال الوظائف التي عملوا بها سواءا في القضاء أم في الولايات والعمالات الأخرى أم في الوزارات أم في غيرها من الوظائف واتسمت مشاركتهم في الحياة السياسية بالقوة والفاعلية وهو مايتفق مع التغيير باليد[3]، وهو ما يتوجب علينا أن ندرك أنه ليس جميع من شارك في السلطة فقد ذهبوا إليها بمحض اختيارهم، إذ كان الخلفاء العباسيون يدفعون إلى هذه الوظائف دفعا، وكذلك يمكننا أن ندرك أن جل العلماء كانوا ينظرون إلى وظائف الدولة على أنها مغرما لا مغنماً، تكليفاً لا تشريفاً، بلاءً بسبب من تصدى لها.[4]

أ/ عمل العلماء بالوزارة:

إن علماء العصر العباسي الأول قد رغبوا عن هذا المنصب لما لها من تبعات ومسؤوليات، لدرجة أننا لم نر أياً من العلماء والأقطاب المعروفين في منصب الوزارة فضلا عن أن الخلفاء العباسيين اعتمدوا في هذا المنصب في الغالب على كبار القادة العسكريين، وبعض أرباب القلم

[1] ابن عساكر، المصدر السابق، ج38، ص221 ، عبد الحكيم، المرجع السابق، ص74.

[2] عبد الحكيم، المرجع السابق، ص 187.

[3] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6، ص 378، 379.

[4] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج6، ص 283.

أمثال آل برمك وآل الربيع وآل سهل وليس بين هؤلاء أحد من العلماء المشهود لهم بالعلم والفضل، وإنما أكثرهم من رجال الدولة وطلبة الدنيا[1].

ولقد عمل القليل من العلماء في الولايات حيث أن قوائم الولاة في العصر العباسي الأول تكاد تخلوا من العلماء ونجد العلماء اعتمدوا في بداية عهد الدولة العباسية في الولايات على أفراد البيت العباسي وكبار رجال الدعوة[2]، فكان الحضور الأكبر فيها كان لأمراء البيت العباسي ولبعض المقربين إليهم من الدعاة والقادة العسكريين وكذلك يمكن لنا إيضاح الدور الذي لعبه العلماء في القضاء في العصر العباسي الأول، إذ أصبح القضاء جهازا مهما في الدولة وذا أثر كبير في حياة المجتمع[3].

فنجد عقب مبايعة أبي العباس بالخلافة أن ولاته استعملوا عددا من العلماء في القضاء لأن الوالي كان مخولا في اختيار قاضي الولاية، ولم تسحب هذه الصلاحية من الولاة إلا في خلافة المهدي، فأقر محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى على قضاء الكوفة، وكان قاضيا عليها لبني أمية[4]، وأقر عباد بن منصور[5] على البصرة وعمر بن عامر المسلم[6] وسوار بن عبد الله، ثم أعيد سوار إلى قضاء البصرة وظل عليها حتى توفي سنة 156هـ، واستُعمل خير بن نعيم[7] على قضاء

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص 20، مجهول، المصدر السابق، ص 14.

[2] عبدالحكيم، المرجع السابق، ص 120.

[3] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج2، ص 240.

[4] ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص385، الطبري، المصدر السابق، ج6، ص122.

[5] عياد بن منصور، ولي قضاء البصرة مدة خمسة سنين، توفي 152هـ، الذهبي، المصدر السابق، ج7، ص 105، 106.

[6] عمر بن عامر السلمي، البصري يكنى بأبي حفص، أحد علماء الحديث الثقاة، فقد غلب عليه الحديث، ولي قضاء البصرة بعد سوار بن عبدالله ثم عزل وأعيد سوار توفي وهو ساجد، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج10، ص 542.

[7] خير بن نعيم: بن قرة بن كريب الخضرمي، يكنى بأبي نعيم، أحد علماء عصره في الحديث فرواه عن التابعين، مثل عطاء بن أبي رياح وعن أبي الزبير المكي، عمل في جهاز الدولة فكان قاضي مصر وفقيهها ثم ولي بعد ذلك قضاء برقة، توفي سنة 137هـ،الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص 372، 373.

قضاء مصر حتى سنة 135هـ، وكان ثابت بن محمد العيدي[1] وهو شيخ ابن المبارك على قضاء مرو[2].

ونجد في عهد أبي جعفر المنصور عمل يحي بن سعيد الأنصاري[3]على قضائه بالهاشمية ثم ولي قضاء بالأهواز وأقر سوار بن عبد الله على قضاء البصرة، ثم خلفه عبد الله بن الحسن بن الحسين[4] وعلى قضاء مصر حتى توفي سنة 154هـ، وكان يحي بن حمزة[5] على قضاء دمشق للمنصور[6].

وعمل على قضاء المهدي عدد من العلماء، فكان عافية بن يزيد[7] على قضاء عسكر المهدي، الجزء الشرقي من بغداد، كما عمل له على قضاء بغداد، وأبو يوسف الذي ولى القضاء لثلاثة خلفاء من المهدي حتى الرشيد[8].

وفي عهد الرشيد تزايدت مشاركة العلماء في القضاء دوريا كان ذلك راجع إلى سياسته كانت مرضية لدى الكثير منهم ولأنه جهد نفسه في التقرب عليهم، وكان ممن شارك من العلماء في القضاء على عهده أبي يوسف ومحمد بن عبد الرحمن المخزومي على البصرة[9].

---

[1] محمد بن ثابت العيدي: يكنى بأبي عبدالله أحد علماء البصرة التقى بعدد من التابعين وأخذ عنهم أمثال بن أبي رياح وعمرو بن دينار وهو شيخ ابن المبارك، الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص 339، 340.

[2] ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص 370.

[3] يحي بن الأنصاري العطار: يكنى بأبي زكرياء أحد علماء حمص غلبت الحديث عليه وان عدة بعض علماء الحديث من الضعفاء، ابن عساكر، المصدر السابق، ج63، ص 266.

[4] عبيد الله بن الحسين بن الحصين: بن أبي الحصين العنبري التميمي أحد تابعي التابعين في البصرة، ومن العلماء الثقاة، عمل في جهاز الدولة فكان على قضاء البصرة توفي سنة 168هـ، عبدالحكيم، المرجع السابق، ص 203 أخذها عن الذهبي، سير الأعلام، ج10، ص 159.

[5] يحي بن حمزة: يكنى بأبي عبدالرحمن أحد تابعي التابعين بالشام ومن علماء الحديث فيها، شهد معاصروه بكثرة حديثه وجودته، عمل في جهاز الدولة العباسية فكان قاضيا على دمشق توفي سنة 183هـ، ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص 469.

[6] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 204.

[7] عافية بن يزيد: بن قيس الأودي كان من أصحاب أبي حنيفة ولي القضاء للمهدي في الجانب الشرقي من بغداد وكان كثير الدخول عليه، توفي سنة 187هـ، ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص 223-231.

[8] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 204.

[9] خليفة بن خياط، تاريخ الخليفة بن خياط، ص 308، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص 3، 4-9.

ويوسف بن أبي يوسف[1] وأبو البحتري[2] وغيرهم وقد وصل بعض هؤلاء العلماء إلى منصب منصب قاضي القضاة، بعد أن استحدث هارون الرشيد هذا المنصب زيادة في إجلال العلماء فضلا عن الضرورات المادية فأصبح قاضي القضاة يوازي الوزير وكان أول من شغل هذا المنصب أبو يوسف[3]، القاضي الذي كان حاضرا بتوجيهاته ونصائحه وإرشاداته السياسية والاجتماعية، وكان له عميق الأثر في حمل الرشيد على الخير والصلاح.

وكان على قضاء الكوفة من العلماء القاسم بن معن، وشريك بن عبد الله[4] واستقضى الرشيد على البصرة من العلماء معاذ بن معاذ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري[5] وكان عبد الله بن عمر بن غانم[6] على قضاء إفريقية ويبدوا أن الأمين قد أقر قضاة أبيه فعيّن إسماعيل بن حماد[7] على قضاء الرصافة سنة 194هـ[8]

[1] يوسف بن أبي يوسف: بن يعقوب ابن ابراهيم بن أبي القاضي أحد علماء عصره كان الرشيد يجلّه فبينه عنه في امامة الناس في صلاة الجمعة بالكرخ، بعد أن ولاه القضاء فيه في حياة أبيه سنة 174هـ، ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص 337، الطبري، المصدر السابق، ج 6، ص 448.

[2] أبو البحتري: هو وهب بن وهيب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود المطلبي من علماء المدينة عمل في جهاز الدولة العباسية فولي القضاء في الجانب الشرقي من بغداد ثم ولي قضاء المدينة وحربها وصلاتها ثم عاد إلى بغداد توفي سنة 200هـ، ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص332، ابن الخياط، المصدر السابق، ص 464.

[3] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج5، ص 341، 342.

[4] ابن الخياط، المصدر السابق، ص 464.

[5] محمد بن عبد الله الأنصاري: محمد بن المثنى بن أنس بن مالك الأصبحي يكنى بأبي عبد الله ولي قضاء البصرة، ثم قضاء الجانب الشرقي من بغداد لهارون الرشيد، ثم أعيد إلى قضاء البصرة مرة أخرى، ثم ولي المظالم ببغداد توفي 210هـ، ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص 294، 295.

[6] عبد الله بن عمر بن غانم: أحد علماء إفريقية من تلامذة مالك بن أنس، عمل للرشيد على قضاء أفريقية، توفي بالقيروان، عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص208.

[7] إسماعيل بن حماد: بن أبي حنيفة من تابعي التابعين في الكوفة، أكره على القول خلق القرآن لذلك ضعفه العلماء الجرح والتعديل، كان كثير التردد إلى المأمون، الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج6، ص 243

[8] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 208.

وعمل بالقضاء في عهد المأمون عدد من العلماء فكان الواقدي[1] وكان السري بن الحكم على قضاء مصر وعمل أبو عبيد على قضاء طرسوس[2].

وكان ضمن التيار المؤيد من العلماء في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول تيار لم يشترك مباشرة في وظائف الدولة لكنه ظل يزود الخلفاء والأمراء بالتوجيهات ويزدي إليهم النصائح التي كان يؤخذ بجلها، وكانوا يتحفظون عن العمل للدولة خشية أن يفرط في حق الدولة إذ شاب علمهم قصور أو خلل وخوفا من أن يمنعهم العمل للخلفاء في مواجهتهم بكلمة الحق ومن عجزهم من تبصيرهم بعيوبهم ومحاسباتهم، فاكتفى أفراد هذا الفريق بتقديم المواعظ والنصائح لله والتوجيهات للخلفاء، وقد حرص أفراد هذا الفريق على اتخاذ منهج هادئ لطيف في التعامل مع الخلفاء والأمراء وهو ما ميزهم عن الفريق المعارض، الذي كان هو الآخر يتعامل مع الخلفاء والأمراء في نطاق محدود وكان ضمن منهج فج جاف[3].

إن مشاركة العلماء وعملهم في وظائف الدولة هو نوع من التغيير باليد لأن عملهم ودورهم يمكنهم من ذلك، كما اتخذوا أسلوب التغيير باللسان ومنهج المشاركة في الحياة السياسية لأن كلمة العلماء كانت مسموعة لدى الحكام أنذاك سواء كانوا في السلطة أو خارجها[4].

وكان هذا الفريق في مواعظه وتوجيهاته للخلفاء والأمراء يضع لأتباعه منهجا لطيفا لينا وهو منهج غير مستحدث أو مبتدع وإنما كانوا فيه متبعين للصحابة، وقيل ذلك للتوجيهات القرآنية وللسنة النبوية، وقد أشار الكثير من العلماء على طول التاريخ الإسلامي إلى أهمية اتباع هذا المنهج في

---

[1] الواقدي: عمل الواقدي قاضيا للمأمون على الجانب الشرقي من بغداد واستمر عليها حتى توفي سنة 207هـ، وكان المأمون يجله حتى أنهم يرون أنه عندما قدم بغداد من خراسان ماقدمت إلا كتب الواقدي، ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص 334.

[9] طرطوس: مدينة بثغر الشام بين أنطاكيا وحلب وبلاد الروم (آسيا الصغرى)وهي مدينة ذات أسوار وقلاع وخنادق يمر بها نهر البردان، وهي إحدى الأربطة التي كان العلماء وغيرهم من المجاهدين يرابطون فيها على ثغر الروم بها توفي المأمون، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 31، 32.

[3] عبد الحكيم، المرجع السابق، ص 224.

[4] المرجع نفسه، ص 225.

تقديم النصح والوعظ للخلفاء فنجد في العصر العباسي الأول أن كثيرا منهم دعوا إلى هذا المنهج وسلكوه في تعاملاتهم مع الخلفاء والأمراء[1].

لكن العلماء لم يكتفوا بإعطاء هذه الصورة النظرية لما يجب أن يكون عليه العلماء في وعظهم للسلطان بين اللطف واللين، بل إننا نجدهم يطبقون ذلك عمليا في تعاملاتهم مع الخلفاء والأمراء العباسين[2].

ويمكن تقسيم مشاركة العلماء في السلطة بالنصح والوعظ إلى مجالات فكان منهم حثهم على السير وفق سنن السلف من الخلفاء الراشدين من الخلفاء الراشدين بعدما رأوا من ضمور معاني الخلافة الراشدة ومعالم السياسة في العهد النبوي في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول وقبله العصر العباسي الأموي وقد اتخذوا من الوعظ والنصح أسلوبا لتخفيف هذه الغاية مستشهدين بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية وشواهد من حياة الصحابة[3].

إذ نرى الشافعي يوصي الرشيد باتخاذ سنة النبي صلى الله عليه وسلم منهاجا له في سياسة الدولة وتدبير شؤون الأمة وكان يحاسبه على أي تجاوز لها أو انحراف عنها.

وقد استشاره الرشيد في مرمى أمور الخلافة فيه بعض التجاوزات فأجاب الشافعي بقوله:" هذا خلاف ماكان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4].

وكما حث العلماء خلفائهم على القيام بشؤون الأمة كما ينبغي، وإلى تحري العدل ونهيهم عن البطش والمظالم حيث ساقوا للخلفاء حشدا كبيرا من الأحاديث النبوية، وما أثر عن السلف لبيان مكانة العدل وأهميته في الحكم الإسلامي، فروي عبد الله بن مبارك وأحمد بن حنبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" ما من أمير عشرة إلا جيء به يوم القيامة مغلولا فإما أن يفكه العدل أو يوبقه الجور[5]، ودأت العلماء في توجيه معاصريهم من خلفاء ببني العباس بحشد كبير

[1] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص228.

[2] ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص 117.

[3] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 231.

[4] أبو نعيم، حلية الأولياء، ج9، ص 90-97.

[5] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 232.

من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، يخصونهم فيها على تحري العدل ويحذرونهم من الظلم وعواقبه التي تلحق الأذى بالفرد وتكون سببا في استئصال الأمم، فنهى الأوزاعي أبا جعفر المنصور عن الميل مع الهوى لدى الحكم بين الناس"[1].

وحث شبيب بن شبة[2] المهدي في مستهل خلافته على أن يعطي الناس شيئا من العدل لأنه إن أعطاهم ذلك سعد في الدنيا والآخرة وقد أتت التوجيهات ثمارها في توجيه سياسة خلفاء العصر العباسي الأول أو على الأقل حملت الكثير منهم على تحري العدل في سياستهم والبعد عن الحيف والجور[3].

ج/ وكذلك مجال تدخل العلماء للعفو عن الناس كانوا كثيرا ما يتدخلون لدى الخلفاء والأمراء للعفو عن بعض المخالفين لهم وغيرهم ممن غضب عليه الخلفاء فيحولون بينهم وبين المبالغة في عقابهم خصوصا إذا كان الأمر يتعلق بحد من الحدود مبينين لهم فضل العفو وأثره في نفوس الناس وفي المقابل عاقبة العقوبة والبطش لأن سياسة المنصور مثلا اتسمت ببعض القسوة والعنف أما شخصيته تتسم بالحدة والحرص على عدم إتاحة أي فرصة لإفلات الأمر من البيت العباسي[4].

ولقد بين المنصور حيثيات هذه السياسة العنيفة بأنها ضرورية لتثبيت أركان الدولة ولتمهيد وترسيخ مكانة الخليفة في نفوس الناس، وكان للعلماء دور في التخفيف من حدة العقوبة التي كان يستعملها، فتدخل كثير من العلماء لدى المنصور بجذوره من عواقب الطغيان ويجيبونه في العفو مبينين له أن كسب قلوب الناس خير من كسرها وإكراهها على الطاعة بالقوة والشدة[5].

وهنا أيضا نجد إعراض أبي حنيفة على مجاراة المنصور، وعندما أراد عقاب أهل الموصل وجمع العلماء لذلك ملتمسا منهم تسويق شرعيا للبطش بأهل الموصل بعد أن برر الخليفة ذلك

---

[1] الدينوري، الأخبار الطوال، ص 384.

[2] شبيب بن شبة: بن عبد الله بن عمر بن الأهثم المنقري يكنى بأبي معمر أحد كبار تابعي التابعين في البصرة كان على صلة بالمنصور وبالمهدي من بعده، يقدم عليهما بغداد وإن كان خطيا بغداد لدى المهدي أكثر فكان يسدي إليه النصائح والمواعظ ويتدخل لديه لقضاء حوائج الناس، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج9، ص 274، 275.

[3] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 233، 234.

[4] ابن عساكر، المصدر السابق، ج38، ص 233.

[5] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 235.

بشرط أخذه عليهم إن هم خرجوا عليه وهو استحلال دمائهم، فقال أبو حنيفة:" إنهم شرطوا لك مالا يملكون وهو استحلال دمائهم وشرطت عليهم ما ليس لك لأن دم المسلمين لا يحل إلا بإحدى معان ثلاث، فإن أخذتهم بما لا يحل وشرط الله أحق أن يوفى"[1].

استمر العلماء في دعوة الخلفاء العصر العباسي الأول وفي الشفاعة للمظلومين ومن أخذوا العقاب مع سائر خلفاء العصر العباسي الأول وإن كانت حدة الخلفاء وقسوتهم قد قلت كثيرا بعد المنصور وبعد أن ترسخت دعائم الدولة وشهدت مهابة الخلفاء العباسيين في نفوس الناس[2].

أثمرت هذه المواقف الصلبة من جانب هؤلاء العلماء في كبح جماع بعض الخلفاء فكانوا في كثير من الأحيان يفيئون إلى حكم الشرع الذي كان ينطق به العلماء، ويتراجعون إليه وحتى وأن لم يوافق هوى نفوسهم بعد أن يدركوا أن الشرع فوق كل الميول والأهواء وأن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة، وأن العلماء هم الضابط الذي يعيد توازن المختل في الحياة الاسلامية إلى نصابه[3].

د/ وكذلك في مجال تحذيرهم من الإصغاء إلى المتزلفين والوشاة وناقلي الأخبار الذين يعكرون صفوة الحياة بين الخليفة ورعيته فضلا عما قاموا به من جهد لتبصير الخلفاء بما يحدث خاف أبوابهم من تجاوزات ومخالفات، لأن العلماء كانوا يدركون ما تؤدي إليه الأخبار التي تصل الخلفاء في ذم الناس والسعاية بهم في تكوين إتجاهاتهم وسياستهم إزاء الرغبة وفي صورة غير حقيقية لواقع حال الناس، وإلى قيام الخلفاء بأخذ الناس بما لم يفعلوا وحرمانهم مما يستحقوا ومن ثمة وضع الأشياء في غير موضعها مما يقضي في النهاية إلى إفساد العلاقة بين الحاكم والمحكومين[4].

وحذر العلماء الخلفاء والولاة من أخذ الأخبار التي تصلهم من غير تمحيصها واستقصائها والتحقق من صحتها، لذلك نهى العلماء خلفاء العصر العباسي الأول إلى من يفسدون عليهم

[1] الطبري، المصدر السابق، ج 7، ص479.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 2، ص 61.

[3] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 237، 238.

[4] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 245.

علاقاتهم بالناس، فنجد جعفر بن محمد عندما استدعاه المنصور ليبطش به لسعاية بلغته عنه يقول: " يا أمير المؤمنين لا تقبل في ذي رحمك قول تمام"[1].

وكتب مالك بن أنس إلى الرشيد في إحدى رسائله يحذره من الاستماع إلى المتزلفين إليه بنقل أخبار الناس فقال:" احترس ممن يقترب إليك بالنميمة ويبلغ الكلام عنك"[2].

وبهذه المواقف وغيرها كان للعلماء الأداة الفاعلة في توجيه الخلفاء وحملهم على أحسن الأعمال، وكانوا بحق مرشدين وموجهين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ثانيا: المعارضون ودورهم في السلطة:

اتخذ فريق أخر من العلماء موقفا معارضا منافرا للخلفاء العباسيين، فرفض أفراده العمل للدولة، أو حتى اتيان الخلفاء والأمراء لوعظهم ونصحهم، وقد عد أفراد هذا الفريق ما رأوه من متغيرات في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول تخالف ما كانت عليه السلف من الخلفاء، وتقتضي عدم التعاطي مع الخلفاء العباسيين.

واتخذت معارضة هذا الفريق من العلماء للخلفاء العباسيين مظاهر عدة منها:

أ/ الشدة في تقديم المواعظ والنصائح للخلفاء والأمراء، فاتسم هذا الفريق من العلماء في النصح والوعظ مع الأمراء والخلفاء بالعنف والغلظة، وكانوا يواجهونهم بأخطائهم وعيوبهم، وقد مثل هذا الفريق عدد من العلماء كان أبرزهم أبو حنيفة وسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك وغيرهم[3].

ونجد عبد الله بن مبارك بن المعاصرين الذين ذموا الخلفاء في العصر العباسي الأول حيث قال: وهل يفسد الدين إلا الملوك وأخبار سوء ورهبانها[4].

وهكذا ترى من سمات هذا الفريق من العلماء الشدة والغلظة في مواعظهم للخلفاء، ولم يكن ذلك يعين استعدادهم للخروج أو انكار طاعتهم وإنما رغبة منهم في إصلاح ما رأوه اضمحل وضمر من صفات الراشدين في خلفاء بني العباس، ولشدة حساسيتهم تجاه ما كان يحدث من

[1] ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج 2، ص 23، 24- 35.

[2] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 245.

[3] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 246.

[4] أبو نعيم، المصدر السابق، ج8، ص 308.

تبدلات في حياة الأمة، ولاعتقادهم بأن التلطف للخلفاء نوع من المداهنة ولطبائعهم الشخصية التي اتسمت بالحدة[1].

وهنا أدرك المنصور بعدما لمسه من شدة الثوري، أن لا أمل في الاستعانة به، كما أن مواجهته للخليفة بغلظة بين الناس في الموسم، جعل الخليفة يتحاشاه إذا أراد الحج حتى لا يواجهه بما يكرهه و ويحط من شأنه ومهابته بين الناس، بوصفه خليفة للمسلمين وعندما حج سنة 158هـ أرسل إلى نائبه بمكة أن يحبس جماعة من العلماء بينهم سفيان الثوري.

وتذكر بعض الروايات أنه أُمر بصلب سفيان وأنه بعض الحشاشين إلى مكة وأشاع أنه يريد قتله[2]، ولا تعتقد أن الخليفة كان جادا في قتل الثوري ونرجح أنه إنما أراد ترويعه وإبعاده عن الطريق لئلا يتعرض له في موسم الحج فسمعه ما يكره فيضظر إلى عقابه إذا الخلفاء لا تحتمل الحط من شأنها بين الناس وأيا كان الأمر فإن الخليفة المنصور مات قبل أن يصل إلى مكة[3].

واستمرت معارضة الثوري بعد وفاة المنصور لخليفته وابنه المهدي، فرفض فكرة اتيانه بالرغم من إلحاح الحاج المهدي في طلبه بل إنه اضطر أمام هذا الطلب إلى الثواري عنه متنقلا بين الأمصار من مكة إلى اليمن إلى البصرة حتى أرهق من كثرة الترحال[4].

ونج سفيان الثوري أنسب شخصية يمكن أن تمثل هذا الدور بجلاء فقد كان شديدا مع الخلفاء والأمراء وهي شدة عرف بها بين معارضيه، وقد أشارت بعض التاريخية إلى العديد من المواقف التي تؤكد هذه الغلظة والشدة التي ميزت نصائح ومواعظ سفيان الثوري لخلفاء العصر العباسي الأول[5].

---

[1] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 250.

[2] أبو نعيم، المصدر السابق، ج7، ص 44.

[3] أبو نعيم، المصدر السابق، ج7، ص44، عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 248.

[4] أبو نعيم، المصدر السابق، ج4، 7، ص5- 13، 14- 47.

[5] عبد الحكيم الحق، المرجع السابق، ص 247.

فلقد التقاه المنصور بالمنصورة في موسم الحج ورغب في التودد إليه والتقرب إليه وقال له:" إرفع إلينا حاجتك فما كان من سفيان إلا أن قال له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا ولما سأله المنصور عن رأيه فيه لم يتردد في أن جاهره بهذه الكلمات الشديدة فقال له:" بئس الرجل أنت"[1].

وبالرغم من الجفاء الواضح والرفض المعلن من طرف سفيان الثوري إلا أن المنصور ظل يطلبه ليشركه في بعض أعمال الدولة وليتحمل معه جزء من مسؤولياته تارة بالترهيب وتارة بالترغيب وقد تدخل لديه بعض أقرانه من العلماء ليحملوه على إجابة دعوة الخليفة إلا أنه كتب بأبي ويهددهم بأنه إن جاءه أسمعه مالا يرضاه حيث قال:" ما يريد مني أبو جعفر؟ فوا الله لإن قمت بين يديه لأقولن له قم من مقامك فقبرك أولى به منك"[2].

ب/ وكان من السمات البارزة لهذا الفريق من العلماء الامتناع عن اتيان الخلفاء والأمراء بل وسعيهم لدى أقرانهم من العلماء لمنعهم من ارتياد مجالس الخلفاء والأمراء يحذرونهم من ذلك مبينين لهم الأضرار التي تلحق بالعالم إن هو أتى الخلفاء وتردد على أبوابهم وأن هذه الأضرار منها ماهو دنيوي يتمثل في استخدامهم من قبل الخلفاء لتبرير بعض المخالفات، فتسقط مهابة العالم في نفوس الخلفاء والناس على حد سواء[3].

وما يثرب على ذلك من أضرار أخروية لأن العلماء إذا ركنوا إلى الحكام ضيعوا أمانتهم التي استحفظوها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوصفهم الضابط الذي يعيد التوازن إلى الحياة الإسلامية إذا شابها شائب فيسحقون عند ذلك العقاب الأليم في الأخوة، لذلك فقد دأب هذا الفريق من العلماء على تمكن أقرانهم عن إتيان الخلفاء فهذا سفيان الثوري[4] يأخذ بيد سعيد بن صلابة[5] محذرا إياه من إتيان الأمراء ومحببا له الرغبة في أيديهم[6].

---

[1] ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص 196.

[2] أبو نعيم، حلية الأولياء، ج7، ص44.

[3] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 250.

[4] أبو نعيم، المصدر السابق، ج7، ص 8.

[5] سعيد بن صدفة: القرشي من أهل دمشق، ابن عساكر، المصدر السابق، ج21، ص 105.

[6] عبد الحكيم عبدالحق، المرجع السابق، ص 250.

ونبه غيره من العلماء من أن يتسابقوا إلى الخلفاء والأمراء مهما كانت المبررات فقال:" إذا دعوك لتقرأ عليهم قل هو الله أحد فلا تأتيهم"[1]، وقال لعباد بن عباد[2] إياك أن تنخدع فيقال لك تشفع وتدرأ عن مظلوم، أو ترد على مظلمة، وأن العالم كلما ازداد قربا من السلطان ازداد بعده عن الله وحث عبد الله بن المبارك العلماء على تنزيه أنفسهم والعلم الذي يحملونه على أبواب الحكام وانتقد ابن السماك بعض العلماء المترددين على أبواب الخلفاء[3].

وعن أحمد بن حنبل إتيان الخلفاء والأمراء من البلايا التي تقع فيها العلماء وحذر من هذا العنف من العلماء فقال:" إن الدنيا والسلطان داء والعالم طبيب فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره[4]،

ومن الأسباب التي دفعت هذا الفريق من العلماء لاتخاذ مواقف مناوئة للخلفاء العباسيين أن العلماء كانوا يدركون أهمية دورهم ومسؤوليتهم ومحاسبة الخلفاء والأمراء عن أي تقصير في واجباتهم تجاه الأمة معنيين بتقويم أي انحراف يمكن أن تقع فيه الحكام ويرون أن ترددهم إلى مجالس الحكام سيؤثر على الدور الذي يقومون به لأنهم حينها سيعجزون عن محاسبتهم فضلا عن خشيتهم من أن يحملهم الحكام على ما لا يرضون من القول أو الفعل[5].

وهكذا فقد رأى أصحاب هذا التيار أن العلماء يمثلون المعيار الذي يوزن عليه أعمال الخلفاء والأمراء وتصرفاتهم ولذلك رأوا ضرورة أن يظل هذا المعيار نزيها محايدا، بعيدا عن أية ضغوط أو ابتزاز حتى يقوم بدوره في إجحاف الحق وإبطال الباطل لأنه إذا اختل بمداهمة العلماء للأمراء فعندئذ تنعدم مرجعية الحكام وتضطرب أحوال الدولة ويشيع الظلم والفساد في الأرض ناحية

[1] أبو نعيم، المصدر السابق، ج6، ص 249.

[2] العياد بن عباد: بن حبيب بن عبد المطلب بن أبي صفرة العتكي يكنى بأبي معاوية أحد علماء الحديث الثقاة من أهل البصرة استقر في أخر أيامه ببغداد وبها مات، ابن سعد: المصدر السابق، ج7، ص 327.

[3] نهى ابن السماك العلماء على الوقوف على أبواب السلاطين فقال:" الذباب على العذرة أحسن من القارئ على أبواب الملوك، الخطيب، المصدر السابق، ج7، ص 370، عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 251.

[4] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 252.

[5] المرجع نفسه، ص 252.

أخرى كانت هناك معادلة بين العلماء والخلفاء إذا ماوزنت تخلى العلماء عن تحفظاتهم إزاء الخلفاء.

وكان كل منهم يدعو الأخر إلى البدء في وزنها وهو من يبدأ في التحرك بتغيير موقفه من الأخر فالعلماء يطالبون الخلفاء بأن يبدوا حسن نيتهم في الإصلاح باتخاذ خطوات علمية فيتخلصون من بطانة السوء التي تحيط بهم ويعيدون المظالم بكل ما تعنيه هذه العبارة من أبعاد مادية ومعنوية لأصحابها وأن يلتزموا سيرة السلف والخلفاء يتذرعون أن ذلك ليس بوسعهم بدون مساعدة العلماء، فيطلبون منهم الانضمام إلى أجهزة الدولة ليكونوا أدوات التغيير والإصلاح، وهكذا ظل كل فريق ينتظر المبادرة من الفريق الأخر[1].

ت/ وكذلك من مظاهر معارضة العلماء للخلفاء نجد الامتناع عن أخذ الهبات والعطايا انقسم العلماء إزاء الهبات وأعطيات الخلفاء والأمراء العباسيين إلى قسمين فمنهم قبلها وجوز أخذها بوصفها من أحوال المسلمين التي لكل مسلم فيها نصيب دعتهم إلى ذلك حاجتهم إليها من تفرغ الكثير منهم إلى طلب العلم.

أما الفريق الأخر فقد رفض أخذ هبات من الحكام ونهى غيره من العلماء عن أخذها ولام أولئك الذين أخذوها فقد رفض هذا الفريق أخذ هبات الحكام ونهى غيره من العلماء عن أخذها ولام من قبلها وكان من هذا الفريق سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك وغيرهم[2].

ونجد أن امتناع العلماء عن أخذ الهبات والعطايا راجع إلى أسباب ولعل هذه الأسباب أن العلماء شككوا في مصدر الأموال التي حازها الخلفاء العباسيون وأنهم يعتقدون بعدم شرعيتها فإن هذا الاحتمال يسقط أمام الروايات التاريخية التي تناولت هذا الموضوع وأمام الثوابت الفقهية التي كان العلماء يعرفونها جيدا وأمام الظروف الموضوعية للحد من أساليب جباية الأموال ومدى وقوف الخلفاء عند الحدود الشرعية في تحصيل المال وتصريفه[3].

---

[1] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 253، 254.

[2] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 254.

[3] المرجع نفسه، ص 255.

ونخلص مما سبق أن السبب الحقيق في رفض العلماء هبات وعطايا الخلفاء والأمراء هو خشيتهم من أن يعجزوا إن هم أخذوا هباتهم عن مجاهرتهم بأخطائهم وتجاوزاتهم وإلا يتمكنوا مني محاسبتهم لأنهم كانوا يعتقدون بأن المضي خطوة واحدة في طريق الباطل يعني سقوط الحق الذي يحملونه، ولهذا كان سفيان الثوري يرفض هبات الخلفاء حيث قال سفيان أترون أني اخاف هوانهم أنما اخاف كرامتهم"[1]، وهنا يعتقد سفيان أن اخذه لعطياهم سيفقده القدرة على القيام بالدور المنوط به من تقويم سياستهم ومحاسبتهم[2].

وإذا كنا قد أخذنا سفيان الثوري نموذجا لهذا الفريق من العلماء فلأنه كان مثالا واضحا للمعارضة ومع سفيان كان عددا أخر من العلماء اتخذوا هذا الموقف وللأسباب ذاتها أمثال عمرو بن عبيد[3] والفضيل بن عياض[4]،وعبد الله بم المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهم[5].

فشارك بذلك العلماء في السياسة مشاركة تعليمية توجيهية فلم يبخلوا عليهم بنصائحهم وممروا بضاعتهم بطرق خاصة.

ثالثا: الخلفاء والمعتزلة ومحنة أهل السنة:

كان ظهور المعتزلة في عهد المأمون غير أنهم ظلوا في الخفاء لأن الدولة كانت تنظر إلى أفكارهم بوصفها بدع وأهواء غريبة عن الفكر الإسلامي وغير مرغوب فيها، وكان العلماء آنذاك يعززون هذا الاتجاه ويكشفون زيف تلك الطروحات وخطورته على عقيدة المسلمين وأصالة فكرهم[6].

---

[1] أبو نعيم، المصدر السابق، ج7، ص 42-44.

[2] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 256.

[3] ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص 79.

[4] كان الفضل لا يقبل هبات الخلفاء وينهى الناس عنها فقد انتقد بعض معاصريه من العلماء لأخذه السلطان فقال لهم:" كنتم معشر العلماء سُرُج البلاد يستضاء بكم ، وصوتك ظلمة وكنتم نجوم يهتدى بكم فصرتم حيرة ثم لا يستحي أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة ثم يسند ظهره فيقول حدثنا فلان عم فلان"، ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج2، ص 161.

[5] كان من هذا الفريق أيضا داود الطائي ويوسف بن أبساط وابن السماك وحماد بن سلمة ومحمد بن رافع، أبو نعيم، المصدر السابق، ج8، ص 256، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج4، ص 106.

[6] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 257، 258.

وبالرغم من تقريب المنصور للمعتزلة واهتمامه بترجمة كثير من كتب الفرس واليونان إلى العربية، إلا أن المعتزلة لم يجرؤوا على الجهر بأفكارهم وإعلان القول بخلق القرآن فمنعهم من إخضاع العقيدة للجدل وفق منهج فلسفي، وتتبع القائلين بخلق القرآن وكان للعلماء حينذاك دور كبير في مواجهة القول بالقرآن قبل أن يعلن ويحمل الناس عليه، واستضعفه ورأى أن يعاقب القائل به حتى يتوب، ومنهم الإمام مالك الذي أنكر أقوالهم واستضعف أقوالهم بخلق القرآن[1].

غير أن عصر المأمون يتعهد بقلة نوعية العلاقة بين السلطة والمعتزلة، إذ اتصل بعدد من الشخصيات المعتزلة البارزة، سواء قبل توليه الخلافة أم بعدها وتتلمذ على شيوخ المعتزلة أمثال أبو الهديل العلاف[2]، فحضوا بالمنزلة العالية وبشير المرسي ثم قربهم إليه واستبدلهم بقضاته وكبار أعوانه فحضوا بالمنزلة العالية.

وقد استمر المعتزلة بعد ذلك يوجهون الخلفاء العباسيين بعد المأمون وظلت الدولة تحت تأييدهم تمارس كل ألوان الاضطهاد والإكراه ضد علماء السنة والعامة لموافقتها فيما ذهبت إليه من القول بخلق القرآن[3].

سعى المأمون بعد أن اعتنق مبادئ المعتزلة ووقع تحت تأثيرهم إلى تسويق مبادئهم ومن ذلك القول بخلق القرآن وقد تم ذلك على مرحلتين رئيسيتين: بدأت المرحلة الأولى في سنة 212هـ بإظهار القول بخلق القرآن دون أن يدعوا الناس إليه وقد رافق ذلك تفضيله عليا رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[4]، ومنع الناس من الترحم على معاوية أو ذكره بخير وهو ما ما يؤكد امتزاج بين الفكر المعتزلي القدري والفكر الشيعي الرندي ودعا في نهاية هذه المرحلة الناس إلى القول بخلق القرآن دون أن يمتحنهم فيه، وقد استمرت هذه المرحلة حتى 218هـ.

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج 10، ص 201.

[2] محمد بن الهذيل أبو الهذيل: البصري العلاف، رأس المعتزلة في البصرة قوله وله مصنفات كثيرة في الإعتزال فأنكر الصفات المقدسة لله تعالى بما في ذلك العلم والقدرة، وزعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي، توفي في سنة 227هـ، الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص 542، 543.

[3] الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص 286.

[4] ابن خلدون، العبر، ج 1، ص 284.

وبدأت المرحلة الثانية سنة 218هـ بإقدام المأمون على خطوة خطيرة إبتدأ فيها أيام الفتنة وفرق بها كلمة المسلمين عندما استقر رأيه على امتحان الناس وحملهم على موافقة رأيه ومذهبه في أن القرآن مخلوق فكتب وهو بالرقة إلى إسحاق بن إبراهيم صاحب شرطته ببغداد بامتحان الناس فامتحنهم[1].

وبدأ المأمون بدعوة القضاة لامتحانهم في القرآن وكانت خطوته الأولى تهدف إلى قصر أعمال الدولة على من يثق به وهو لا يثق إلا بمن وافقه في مذهبه وقال بأن القرآن مخلوق لأنه في نظره دليل على صحة عقله وإيمانه فأمر بجمع القضاة وأقر عليهم كتاب أمير المؤمنين وبدأ امتحانهم في القرآن[2].

ولم يقتصر هذا على قضاة بغداد بل حتى الأقاليم وقد استجاب بعض القضاة للمأمون وجاوره رهبة ورغبة ثم عمهم المأمون الدعوة إى القول بخلق القرآن على العلماء كافة محددا عددا منهم أمثال: أحمد بن حنبل[3]ومحمد بن نوح[4] وسجادة[5] وأخرين.

وقد كان للعلماء دور في مواجهة في فتنة القول بخلق القرآن وقبل الخوض في بيان أدوار العلماء ف مواجهة الفتنة لأنه أن يبين نظرتهم إلى القائلين بهذا القول والمروجين له بوصفهم السبب في ظهوره ولدورهم في تسويقه لدى الخلفاء وحملهم على محنة الناس به[6].

إن العلماء اتخذوا منذ البداية موقفا معارضا للاتجاهات الفلسفية المنطقية التي انتشرت في العصر العباسي الأول فسمى العلماء أصحاب هذه الاتجاهات بأهل الأهواء، وعدوا ماجاؤوا به

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص 195، الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج3، ص 323.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص 195-202.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص 200-204.

[4] محمد بن نوح: بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجيلي أحد تابعي التابعين صاحب سنة وحديث كان مهن ابتلاهم المأمون في القول بخلق القرآن واستقدمه إلى الرقة مع أحمد بن حنبل إلا أنه مرض في طريقه إلى الرقة ومات سنة 218هـ، الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 322، 323.

[5] سجادة: أحد تابعي التابعين ومن علماء السنة الموضوعين بالورع عمل في جهاز الدولة الإسلامية فكان قاضيا على المدائن للمأمون وكان لا يقبل شفاعة الخليفة وتدخله في أقضيته وكان بصحبه المتوكل لما أتى دمشق، ابن عساكر، المصدر السابق، ج 68، ص 82.

[6] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 332.

بدعا لا تثقف مع قيم الدين ولا مع دواعي الحياة ومتطلباتها وأن من العبث الخوض فيها وإقحامها في قضايا العقيدة ونظروا باشمئزاز إلى المعتزلة وسواهم من أهل الأهواء والبدع بما في ذلك من وافقهم من خلفاء بني العباس فكان أحمد بن حنبل يبغضهم ويأبى التعاطي معهم وامتنع العلماء عن الصلاة على بشر المريسي عندما توفي سنة 218هـ[1].

وقد بدأ العلماء في مكافحة هدم الاتجاهات الفكرية الغربية محذرين من أن الخوض فيها قد يؤدي بصاحبه إلى منزلق خطير قد يأتي على عقيدته كما نهوا عن التعاطي مع أهل الأهواء والقائلين بخلق القرآن وإن غفلت بشيء من الحق فقد حذر من ذلك العلماء فقال الأوزاعي:" عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس وإياك وأراء الرجال وإن زحفوا لك القول[2].

لقد كان موقف العلماء من أصحاب الأهواء والبدع يتسم بالقوة والوضوح سواء كان ذلك قبل إظهار القول عندما كان القائلون به يدسونه هنا وهناك لمعرفة مدى تقبل النسيج الفكري الإسلامي لهذه الأفكار الجديدة الغربية، أم بعد أن اعتنقت هذه الفكرة وأظهرتها ثم حملت الناس على القول وامتحنهم فيها[3].

فرفض العلماء هذه فكرة منذ البداية ونهوا عن تداولها أو حتى الجدل فيها، عندما كان المعتزلة لا يزالون على هامش الحياة السياسية وقد بين مالك أن القرآن كلام الله، وأنه من قال أنه مخلوق فهو زنديق وهو رأي عبد الله بن المبارك والشافعي وأسد بن الفرات[4].

وكان للعلماء أيضا موقف من المحنة في القرآن الكريم وما إن بدأ المأمون المحنة في القرآن حتى اشمأزت منه نفوس العلماء وعدوه بلاء على الإسلام، كما أن الدولة قد تباينت طرائفها في مواجهة هؤلاء المعارضة كانت طرائق العلماء في مواجهة الخلق بالقرآن وإنكار مهما اختلفت

---

[1] المرجع نفسه، ص 332.

[2] الذهبي، سير الأعلام، ج7، ص 120.

[3] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 234.

[4] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج6، ص 239.

أشكال ومواقف العلماء إلا أنهم جميعا متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومع ذلك يمكن أن نميز بين فريقين رئيسيين[1]:

1/ فريق اتخذ منهج التقية في القول بخلق القرآن: فجل العلماء في العصر العباسي الأول اتخذوا منهج التقية في التعامل مع الدولة في قضية القول بخلق القرآن إزاء الضغوطات الشديدة والمتنوعة التي مارستها الدولة لحملهم على موافقتها في مذهبها وحرمانهم من وظائف الدولة وكان أول من اتخذ منهج التقية من العلماء إزاء هذه المهنة[2] يحي بن معين وأبو خيثمة[3] والدور في[4] ومحمد بن سعد[5].

وأكره على القول بخلق القرآن غيرهم من العلماء أمثال بشير بن الوليد[6] وغيره وقد لام هذا الفريق من العلماء خصوصا أولئك الذين أبتأت بهم المحنة أقرانهم من العلماء على موافقتهم المأمون في قوله بخلق القرآن الكريم وإن كانوا قد تأولوا التقية لأنهم بعد ذلك غروا المأمون وأغروه بمتابعة المحنة ولو أنهم ثبتوا على الحق لارتدع وكف واتخذ أحمد بن حنبل ضلاهم أنواعا من العقاب

---

[1] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 235.

[2] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 236.

[3] أبو خيثمة: زهير بن حرب بن شداد القرشي النسائي البغدادي، أحد علماء الحديث من الموالي فقد كان مولى لبني الحرش بن كعب تنقل بين الأمصار طلبا للحديث ثم استقر به المقام ببغداد فصنف فيها الحديث كان ممن امتحن في القول بخلق القرآن فتأول التقية فأجابهم توفي في خلافة المتوكل سنة 234هـ، الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص489.

[4] أحمد بن ابراهيم بن كثير الدورقي العبيدي يكنى بأبي عبد الله أحد علماء الذين ثبتوا في محنة القول بخلق القرآن، الدورقي نسبة إلى أنه كان يبيع القلانس الدروقية، له تصانيف كثيرة، توفي سنة 246هـ، الذهبي، المصدر السابق، ج 12، ص 130-132.

[5] محمد بن سعد بن منيع يكنى بأبي عبد الله ويعر ف بابن سعد وهو كاتب الواقدي وصاحب كتاب الطبقات، التقى بعدد من العلماء أمثال سليمان بن عبد الرحمان واسماعيل بن عبد الله وزيد بن يحي بن عبيد وسفيان بن عينية واسماعيل بن علبة وغيرهم، وأخذ عنه أحمد بن حنبل، توفي سنة 230هـ ، لبن عساكر، المصدر السابق، ج53، ص 62-64، 65.

[6] كان بشر بن الوليد قاضي بغداد في قسميها الشرقي والغربي، فعزله المأمون لرفضه القول بخلق القرآن، وسجنه وعرضه للقتل فأجاب متأولا قول الله تعالى:" إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان"، النحل الآية 06، ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص 355، 356، الطبري، المصدر السابق، ج7، ص 206.

النفيس على وجه التأديب والتأنيب وجرح في عدالتهم[1]، وكان من مظاهر التقية الاعتزال وتجنب التعرض للخلفاء[2].

2/ الفريق الذي ثبت على أن القرآن غير مخلوق:

في الوقت الذي اضطر فيه بعض العلماء تحت وطأة التهديد والإيذاء إلى موافقة الدولة على القول بخلق القرآن الكريم ثبت بعضهم الأخر على الحق ورفضوا مهادنة الخلفاء تحت أي ضغط تأكيدا لالتقاء العقيدة من أي شائبة ولأنهم استوحشوا لما رأوه من بدع وتيارات فكرية غربية لا أصل لها في الدين[3]، وحاول عددا منهم استشارتهم الخلفاء لكفهم عن هذا القول مبينين لهم خطورته ومنهم يزيد بن هارون الذي ظل ينهى المأمون على أن يحمل الناس على هذا القول، وكذلك ظل يحي بن أكتم الذي ظل يحذر المأمون من المعتزلة وأصحاب الأهواء الذين يزينون له القول بخلق القرآن ومحنة الناس به[4].

وهناك من العلماء من رفض القول بخلق القرآن وعد ذلك خللا في العقيدة الدخول ومنكرا يستوجب التغيير ولم يتردد أفراده في الخروج على الخليفة وتحريض العامة عليه لاعتقادهم بسقوط ولاية الخليفة بما عدوه كفرا لأن العلماء بداية كفروا القائل بخلق القرآن[5].

فوقف أفراد هذا التيار بصلابة إزاء كل أساليب الترغيب والترهيب التي اتخذتها الدولة لحملهم على القول بخلق القرآن كما رفضوا في الوقت ذاته الدخول في مواجهة مسلحة مع الدولة لئلا يؤدي ذلك إلى فتنة أشد وأكبر فيكونون قد غيروا المنكر بأنكر منه وإنما اتخذوا في معارضتهم منهجا هادئا مكتفين بالثبات على قولهم لأن القرآن كلام غير مخلوق[6].

---

[1] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 336، 337.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج 10، ص 517.

[3] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 338، 339.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص 147، 148.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج7، 227– 330.

[6] ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص 354، 355، عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 341.

وقام هذا الفريق من العلماء بتخليص جانب من العقيدة من الانحرافات والتشوهات التي أريدت بها ولعل أكبر أصحاب هذا التيار أحمد بن حنبل الذي ثبت أمام تهديدات المأمون وسياط لمعتصم وسجنه وقيوده وتارة وإغرائه بأن يكون خطبا لديه إن هو وافقه في قوله[1].

ولم يكن إمام أحمد وأصحاب هذا الفريق من العلماء سوى خيار واحد وهو الثبات على الحق وعدم المراوغة أو العمل بمبدأ التقية والتفكير في الذات ولم يكن بوسعهم أن يفعلوا ذلك وهم الضابط الذي يضبط حياة المجتمع والجسر الذي انتقل عبرها الدين بعقائده وشرائعه وقيمه من جيل الصحابة والتابعين إلى بقية أجيال الأمة فكان لابد أن يأخذوا هذه الأمانة بحقها.

وبقي الأمر على هذا الحال من اضطهاد وتعنيف وسجن وسياط سلطه من أهل السنة والجماعة طيلة عهد المأمون والمعتصم لنرى الانفراج النهائي وإنهاء محنة القول بخلق لقرآن في خلافة المتوكل الذي أحيا السنن وأمات البدع[2].

هذا وتيسر في الختام إلى أن أئمة عوامل خارجية وأخرى داخلية أدت إلى ظهور بدعة القول بخلق القرآن على سطح العصر العباسي الأول وإن الدولة لم تقصد من تبني الفكرة كما ذهبت كثير من الدراسات المحدثة شغل العلماء من القضايا السياسية المعاصرة وإنما كان السبب في ذلك أن بعض الخلفاء قد وقعوا تحت تأثير المعتزلة وأن العلماء قاموا بدور كبير في الدفاع عن قيم الاسلام إزاء هذه الظاهرة وإن اختلفت أساليبهم ودرجة مواجهتهم لها وأن موقفهم هذا أدى تنقية العقيدة مما ألصق به من بدع.

[1] عبد الحكيم عبد الحق، المرجع السابق، ص 343.

[2] أبو نعيم، المصدر السابق، ج9، ص 192.

الفصل الثاني

الوزراء و تأثيرهم في السلطة خلال العصر العباسي الأول

ليس المقصود من هذه الدراسة تعريف القارئ بماهية منصب الوزارة أو إعطاء القارئ ترجمة عن حياة وزراء العصر فقد ألفت هذا الموضوع العديد من الكتب والبحوث وأسيل فيها الكثير من الحبر وإنما الهدف الذي قصدناه من وراء هذه الدراسة هو تسليط الضوء على الدور الذي لعبه أشهر وزراء هذا العصر في مختلف الجوانب مما كان له تأثير في أوضاع المجتمع الإسلامي.

ونظام الوزارة واحد من النظم السياسية الهامة في الإسلام بل هو أهم النظم السياسية بعد الخلافة، ومنصب الوزارة كما سبق وأشرنا لم يعرف إلا أن العصر العباسي[1] وفي ذلك يقول ابن طبا طبا :" الوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس فأما قبل ذلك لم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمي الوزير وزيرا لذلك عمدنا إلى تتبع مواقف الوزراء وأدوارهم وكان ذلك مقتصرا على أشهر الوزراء وأصحاب المواقف العظام والتأثير على السلطة والخليفة[2].

أولا: البرامكة واستحواذهم على السلطة:

هي الأسرة التي تقلد العديد من أفرادها منصب الوزارة[3]، وأصلهم فارسي ينتسبون إلى أشراف مدينة بلخ[4]، ويلقبون بلقب البرامكة المشتق من برمك وهي رتبة وراثية خاصة برئيس الكهان ببلخ[5]، ويعود أصل البرامكة إلى برمك، وهذا هو رجل مجوسي

---

[1] فايزة إسماعيل، وزراء العصر العباسي الأول، مجلة المؤرخ ، ع8، مج1، ص 2000.

[2] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 153، 154.

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج19، ص 307.

[4] *بلخ*: من أشهر مدن خراسان كانت ضواحيها خصبة بسبب استفادتها من مياه نهر جيحون الشهير الذي كان يسمى وقت ذاك بنهر بلخ وكانت غلاتها كثيرة تحمل إلى أغلب مدن خراسان، كما كانت من الناحية السياسية مركزا لعائلات نبيلة مثلت أدوار هامة في تاريخ الفرس القديم، وقد دخلت المدينة وضواحيها ضمن حدود الدولة الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص479، 480.

من مدينة بلخ قاعدة طخارستان عند نهر جيحون، حيث كان يوجد معهد كبير للمجوس وهم عبدة النار وقد اشتهر البرامكة بأنهم سندة ذلك المعهد[1].

والبرامكة هم أهل شرف على عبادة الأوثان، فوضت لهم مكة وحال الكعبة فاتخذوا الثورهان في مضاهاة لبيت الله الحرام وكانت قريش ومن والاها من العرب يأتون إليها ويعظمونها[2].

ويرجع اتصال البرامكة بالعباسيين إلى الفترة السابقة لقيام الدولة العباسية وأول من اتصل منهم بالعباسيين[3] خالد بن برمك[4]،الذي أسهم في نشر الدعوة العباسية حتى أصبح من أكبر دعاتها في خراسان، وكان عند ظهور أبي مسلم في خراسان من أبرز رجاله الذين أعتمد عليهم في مهمته، ولقد كان خالد بن برمك ملما بالمسائل المالية الأمر الذي دعى إلى الإفادة من هذه المعرفة، فاليعقوبي يذكر أن خالد تولى قسمة الغنائم[5]، وتقسيمها بين الجند وكان خالد يجتهد أن يكون عادلا في توزيع الغنائم فأرضى بذلك جميع أهل خراسان حتى قيل أنه ما من أحد من أهل خراسان إلا ولخالد عليه يد ومنة لأنه قسط الخراج فأحسن فيه إلى أهله[6].

عندما عقدت البيعة لأبي العباس السفاح الخليفة العباسي الأول 132هـ/136هـ، بدأ في الاستعانة بالمخلصين للبيت العباسي من ذوي الخبرات والشؤون الإدارية المختلفة

---

[5] إبراهيم سلمان الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي الأول، ص 83.

[1] إبراهيم أيوب، التاريخ السياسي والحضاري، ص 63.

[2] هو لو جودت فرج، البرامكة سلبياتهم وايجابياتهم، ص 10.

[3] إبراهيم سلمان الكروي، المرجع السابق، ص 85.

[4] خالد بن برمك: الوزير الكبير أبو العباس الفارسي جد الوزير جعفر بن يحي البر مكي، كان أبوه البرمك هو بدان بمعبد النار (رئيس المعبد) ومعمر بيت المال، وكان برمك بن برمك مجوسيا قدم على هشام بن عبد الملك فأسلم على يده وسماه عبد العزيز كان أبوه الأكبر ملكا من ملوك الفرس للسفاح ثم المنصور مدة ستة أشهر مات سنة 156هـ، وعمره كان 75 عاما. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص 228، 229.

[5]اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص 80.

[6] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 87.

وكان من الطبيعي أن يحتل خالد البرمكي، منزلة هامة ضمن صفوف أعوان الخليفة الجديد إلا أن ذلك لم يحصل لوجود شخصيات غيره كان لها الأثر البارز في سير الأحداث وتوجيهها[1] مثل أبي سلمة الخلال[2] أشهر رجال الدعوة ورؤسائها.

فاكتفى خالد بوصفه كاتبه إذ يتولى ديوان الخراج وديوان الجند ويعتبر ذلك أول مرحلة من مراحل تدخل البرامكة في شؤون الدولة وتصرفهم في أموالها وبذلك أصبح خالد يؤدي عمل الوزراء في توليه الخراج ولكنه تجنب أن يتلقب بلقب الوزير نظيرا مماجرى لأبي سلمة الخلال ومهما يكن فإن خالدا ظل يمارس مهامه لفترة قصيرة لا تتجاوز سنة وبضعة شهور من حكم الخليفة العباسي[3].

ولقد حظي خالد بمكانة كبيرة عند أبي العباس السفاح وذلك لما لمسه من فطنته وذكائه وإخلاصه، بالإضافة إلى تفانيه في العمل وخصه بنفسه وألحقه بمجلسه وأحله محل وزيره وارتبط برباط عائلي مع الخليفة، حيث تبادلت الرضاعة ابنتاهما من زوجتهما وصارت له منزلة كبيرة عند أبي العباس السفاح[4].

وظل خالد يحتفظ بمنزلة عند أبي العباس حتى أنه كان يستشيره في جل الأمور وهذا قد جاء إليه ذات يوم وأخبره بتخوفه من ازدياد نفوذ أبي مسلم الخراساني[5] في

---

[1] ابن قتيبة: المعارف، ص 374-376.

[2] أبو سلمة الخلال: أول وزير وزر الخليفة العباسي حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال، كان مولى لبني الحارث بن كعب، لقب بالخلال، وكان له دواوين، وهو المنسق الأساسي في جهاز الدعوة كان يقيم بالكوفة، وفيها كان يتصل به الدعاة ويقدمون له تقارير عن الوضع في خراسان وعن نشاطهم هناك، وكان هو بدوره يقدم ذلك للأئمة المستقرين بالحميمية وتشيد المصادر التاريخية يذكر أعمال أبي سلمة لصالح الدعوة وتلقبه بوزير آل محمد، الذهبي،المصدر السابق ، ج10، ص 308.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص89.

[4] الجهشياري، المصدر السابق، ص 89.

[5] أبا مسلم الخراساني: اسمه عبد الرحمن من الموالي أصله من خراسان أنس فيه إبراهيم الإمام النباهة والذكاء فأرسله إلى خراسان وجعله على رأس الدعاة فيها، كان له دور كبير في الدعوة إلى بني العباس، كما استخدمه الخلفاء العباسيون بعد ذلك في التخلص من مناوئيهم وقد أدى كل هذا إلى ارتفاع شأنه، وكان بينه وبين المنصور=

نفوس الجند إذ أصبحوا يهابونه ويتآمرون بأوامره ، وكان رأي خالد أن يأمر الخليفة أبا مسلم بعرض جيشه وإسقاط من لم يكن من أهل خراسان من عسكره ففعل ذلك، فأسقط أبا مسلم بشرا كثيرا وبعدها جاءه رجل وسأل أبا مسلم لماذا أسقط هؤلاء الناس قال لأنهم من أهل خراسان فقال أبدأ بنفسك فإنك من أصبهان وقد دخلت في أهل خراسان[1].

بهذا ثنيه أبو مسلم إلى مغزى من إسقاط من لم يكن خراسانيا وهناك أدرك أبو مسلم الحيلة التي دبرت لتنفير الجند منه وهنا بفضل خالد ورأيه نجح في الإيقاع بين أبي مسلم وجيشه إذا استطاع أن يشكك جندا أبي مسلم في نياته حيالهم ونجح بذلك في أن يسود العلاقة بينهما ومن هنا حقق خالد بن برمك ما كان يرجوه في أن لا تكون هيبة الجيوش لأبي مسلم مصدر خوف وانزعاج له في كل وقت[2].

ولما توفي السفاح تولى الخلافة أخوه المنصور أبي جعفر من بعده قلد المنصور خالد على عدة أقاليم[3]، كان من بينها بلاد فارس التي قام فيها سنتين ثم عزله عنها بسبب أبو أيوب المورياني[4] فنكبه أبو جعفر وألزمه بدفع الغرامة المالية التي ألزم خالد بدفعها بدعوى اختلاسها من أموال الدولة.

=في خلافة السفاح تنافس وملاحاة فخشي المنصور منه على سلطان بني فقتله سنة 137هـ، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج6، 23-32-127، 128-137.

[1] الجهشياري،المصدر السابق، ص 94.

[2] إبراهيم سلمان الكوري، المرجع السابق، ص 87، 88.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص 99، ابن خلدون، المصدر السابق، ص 202.

[4] أبو أيوب المورياني: اسمه سليمان بن أبي سليمان الخوزي كان كاتبا للأمير سليمان بن حبيب بن المهلب فتعرف عليه المنصور، ومازال يتقرب إلى المنصور حتى تمكن منه فاستوزره إلا أنه اضمر غشا للمنصور وغنيا بالأموال العامة واعتمد في أموال الدولة على أهله، فعزله المنصور وصادر أمواله حتى توفي سنة 154هـ، الذهبي، سير الأعلام، ج7، ص 85.

ولقد اشتهر خالد برجاحة العقل وبعد النظر يدل على أن المنصور لما شرع في بناء مدينة بغداد استشار خالد البرمكي حول إمكانية استغلال[1] حجارة إيوان كسرى[2] لبناء بعض جدران المدينة الجديدة، وقد أشار خالد بحسن تركها كأثر من أثار الأمم القديمة، وهذا الرأي الذي وجدت فيه الروايات المغرضة سبيلا لتمجيد أراء هذا البرمكي وبيان فضله في بناء بغداد.

فنجد الرأي الأول يزعم أن الخليفة فسر ذلك بميل خالد البرمكي إلى أجداده الفرس ومحاولته الإبقاء على أثارهم، وأن الخليفة أمر بهدم الإيوان إلا انه اتضح صعوبة العملية، وغلاء تكاليفها دفعته إلى العدول عن مواصلة الهدم غير أن خالد نصحه بالاستمرار في العمل حفاظا على سمعته وعد إظهار عجزه في هدم مابناه غيره[3].

في حين نجد الرأي الثاني بين أن الخليفة المنصور كان لا يقدم على عمل ما لم يدرسه من جميع أوجهه، وقد عمل كل الاحتياطات الممكنة في سبيل نجاح هذا المشروع الحيوي، فضلا عن إدراكه لمعنى أبعاد المحافظة على الآثار[4] وهذا ما جعل المنصور يفطن إلى رجاحة عقل خالد وأمر بالتوقف عن هدمه[5].

ومن المواقف السياسية المشهود به لخالد والتي أثرت كثيرا في مجرى الأحداث بعدها، هو الدور الذي لعبه في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة للمهدي بن المنصور، ذلك أن الخليفة المنصور كان يرغب في ذلك وقد أعوزته الحيلة عن

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص 20.

[2] إيوان كسرى: بناء ضخم وأثر هام من أثار الملوك الفرس قريب من موقع بغداد حول تفاصيل وهندسة بناءه، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 294.

[3] ابن خلدون، العبر، ج3، ص 197.

[4] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج8، 75.

[5] المصدر نفسه، ج7، 650.

إقناع عيسى بالتنازل لصالح ابنه المهدي[1] واستعصى عليه إقناعه بالرضوخ له فاستعان بدهاء خالد وحنكته و أرسل إليه وأمره أن يكلم عيسى فوافق خالد كمحاولة أخيرة لإقناعه بالتنازل فقام خالد بجمع وفد من أنصار رغبة المنصور وقصد بهم قصر عيسى[2] وابلغه على أن المنصور يريد صرف البيعة عنه ونقلها إلى المهدي غير أن عيسى تمسك بحقه في ولاية العهد وأبى أن يتنازل عنها وعبر عن ذلك بقوله:" ما كنت لأخلع وقد جعل الله عزوجل الأمر لي"[3].

رغم العروض المغرية لم يرجع عيسى عن رأيه و اضطر خالد في نهاية الأمر إلى اصطناع الحيلة، فتشاور مع جماعته واتفق معهم أن يشهدوا زورا بموافقة عيسى على التنازل عن ولاية العهد لصالح المهدي، فلما عاد المنصور أبلغه بأن عيسى استجاب لرغبته فقام المنصور بالبيعة للمهدي، فعندما بلغ عيسى ذلك أتى وأنكر ما نسب إليه فاستدعى المنصور خالد وسألهم عن الأمر فشهدوا أن عيسى أجابهم وهنا أقر المنصور ولاية العهد للمهدي[4].

ورغم هذه الخدمات لا نرى البرامكة يحتلون مكانة هامة في وزارة الخليفة الجديد المهدي 169/158هـ[5]، وذلك راجع إلى إتباع خالد أسلوبا جديدا في اكتساب قلوب الناس فأكثر الصلات والجوائز إلى كافة الناس وخاصتهم وأسرف في العطاء، غير أن ذلك أغضب الجند منه فخرجوا أحسن عليه وهذا ما أدى بخالد إلى قتل قائد منهم ليقضي على الفتنة، غير أن ذلك اغضب المهدي وألزمه مالا جليلا[6] ولما أعزى

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 9، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 22.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص 88.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 223.

[4] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص173.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 19، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 173.

[6] الجهشياري، المصدر السابق، ص 151.

هارون الصائفة في سنة 463هـ أنقذ معه خالد بن برمك وقلد كتابته ونفقاته وتدبير أمر عسكري إلى يحي بن خالد البرمكي[1] ففتح الله عليهم وحسن أثر يحي فيما قام به أدركت المنية وفاة خالدا سنة 163هـ ولم يكن فقدان العائلة البرمكية لخالد الذي عقلها ومدبر أمرها مفاجأة أحدثت فراغ من شأنه أن يؤثر على معنوياته وطموحها بل كان الأمر مهيئا له ومدبرا ،

فالفترة الطويلة التي قضاها خالد البرمكي في خدمة الخلفاء العباسيين كانت مواكبة لتطور هذه الأسرة[2]، ولم ينتقل منها إلا وقد نالت مرتبة كبيرة من الجاه والمكانة في نظر الخاصة والعامة، وبذلك ترك لها أثرا هاما ساعدها فيما بعد على مواصلة بلوغ ذروة المجد في ظل الخلافة والمؤكد أن أغلب ثمار مجهودات خالد البرمكي قد آلت إلى ابنه يحي[3].

وكان خالد قد عني بتربية ابنه يحي الذي لازمه في شدائده واكتسب منه خبراته وحنكته وعند تولي المهدي الخلافة في سنة 161هـ عهد إليه بتربية ابنه هارون[4] وفي هذا الصدد يقول الطبري:" ولما ندب المهدي هارون الرشيد لما ندبه من الغزو أمران يدخل عليه كتاب أبناء الدعوة ويختار له منهم رجلا قال يحي فأدخلوني عليه معهم فقال لي أني قد تصفحت أبناء شيعتي وأهل دولتي واخترت منهم رجلا لهارون ابني أضمه إليه وليقوم بأمر عسكره ويتولى كتابته فوقعت عليك خيرتي له ورأيتك أولى به إذ كنت مربيه وخاصته وقد وليتك كتابته وأمر عسكره"[5].

---

[1] يحي بن خالد البرمكي: يحي بن خالد بن برمك بن جاماس بن بشتاسف البرمكي الوزير الكبير أبو علي فارس ربى الرشيد بأمر من المهدي مات في سجنه بالرقة 190هـ، وله 70عاما، كان أبوه أحد الأعيان، الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص 89-91.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 152.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 65.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 147.

[5] إبراهيم سلمان، المرجع السابق، ص 92.

وبهذا أتيح لخالد الفارسي على أن ينشأ هارون على الآداب الفارسية التي تأثر بها عن طريق يحي البرمكي[1].

وقد أسند المهدي إلى يحي الإشراف على إدارة دواوين هارون، وهذا ماجعله يحظى مرة ثانية بالمجد بعد أن اصطنع له هارون رئيسا لأمناء سره وظل في هذا المنصب[2] حتى وفاة المهدي، وعندما ولى الهادي الخلافة أمره بأن يقوم بأمر أخيه هارون وأقره على تدبير الأعمال التي كان يتولى القيام بها قبل ذلك[3].

والظاهر أن الأخوين أبناء المهدي الهادي وهارون لايحملان الكراهية لبعضهما[4]، وعندما عزم الهادي على خلع أخيه هارون على ولاية العهد والمبايعة لابنه جعفر طفل حاول أولا إقناع هارون بذلك، وأوشك الرشيد على التنازل على ولاية العهد، فنصحه يحي بالرفض وثبته[5].

ولما علم الهادي أن يحي بن خالد هو الذي أشار على الرشيد برفض التنازل على ولاية العهد، دعاه الهادي وناظره في خلع هارون فأجابه يحي وأثناه عن عزمه، فاقتنع الهادي وعدل عن عزله ووافق على رأي يحي فأخذ يحي يهدئ من ثائرة غضبه، على أن انحياز يحي لهارون وتثبيته في الخلاف القائم بين الأخوين كان سببا في تحامل الهادي على يحي فأمر بحبسه.

وبعد وفاة الهادي أطلق صراح يحي فذهب إلى هارون وهنأه بالخلافة في سنة 170هـ، ويتولى الرشيد الخلافة العباسية بتألق نجم يحي بن خالد ويصل البرامكة إلى

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 169.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص 169.

[3] المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص 344.

[4] الجهشياري، المصدر السابق، ص 170.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 208.

ذروة نفوذهم[1]، بنو خالد بن برمك ووزراء الرشيد: لما بويع الرشيد بالخلافة استوزر يحي بن خالد بن برمك وكان كاتبه قبل الخلافة ومنحه السلطة المطلقة وأطلق له يده في تصريف شؤون دولته[2]، فكانت هذه أول وزارة تفويض[3] في العصر العباسي الأول بعد أن كانت كلها وزارة تنفيذ[4].

فأظهر يحي في منصبه الوزاري سداد الرأي وحسن الإدارة وكان يدير جل الأمور بالمشاورة، وقد استطاع مساعدة ولديه الفضل[5] وجعفر[6] إدارة الدولة العباسية مدة استغرقت سبع عشر عاما 170-187هـ[7].

دور الفضل في توجيه سياسة الدولة:

الفضل بن يحي البرمكي أخو الرشيد بالرضاعة[8]، كان أبوه يحي البرمكي يقدمه على جعفر ويظهر أنه كان أكثر من أخيه كفاءة في الإدارة الفعلية[9]، ولذلك كان يحي خلفا

---

[1] عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، ص 158.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 233.

[3] وزارة تفويض: هي وزارة المخول لها حق التصرف دون استشارة الخليفة، وهي تعني في عمومها حرية الوزير دون الرجوع في اتخاذ القرار إلى الخليفة، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 138.

[4] وزارة تنفيذ: هي الوزارة المكلفة بتنفيذ الأوامر كما جاءت من الخليفة السهر على تنفيذ القرارات الخليفة، وهي عكس وزارة التفويض أي أنها لا تتعدى مجرد تطبيق أوامر الخليفة والسهر على تنفيذها، الماوردي، المصدر السابق، ص 139.

[5] الفضل بن يحي: بن خالد البرمكي ولد 147هـ، ولي إمارة خراسان وعمل في الوزارة كان يضرب به المثل في التيه والكبر ضرب مائتي سوط لما قبض على البرامكة وتوفي في 193هـ، وقيل في 192هـ قبل الرشيد بأشهر، الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص 91، 92.

[6] جعفر بن يحي بن خالد البرمكي: يكنى بأبي الفضل كان ذو منزلة عظيمة لدى الرشيد لم يبلغها أحد مثله، ولكن ولكن الرشيد غضب عليه في أخر أمره فقتله ونكب البرامكة لأجله، قتل 187هـ، كان يلقب بالوزير الصغير، البغدادي: المصدر السابق، ج7، ص 152-160، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 205.

[7] إبراهيم سلمان الكوري، المرجع السابق، ص 96.

[8] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 230.

[9] الدوري، العصر العباسي الأول، ص 159.

خلفا له فقد سأل الرشيد يحي:" يأبي مابال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفر بذلك؟ قال يحي لأن الفضل يخلفني"[1].

فقد لعب الفضل دورا خطيرا في البيعة للامين إذ حدث أن أجمع على البيعة لمحمد الأمين من الرشيد بولاية العهد أثناء ولايته على خراسان في سنة 175هـ، فلما تناهى الخبر إلى الرشيد بذلك، بايع هو الأخر لمحمد الأمين وكتب بذلك إلى الآفاق فبويع له في جميع الأمصار[2].

وتعد عملية حل يحي العلوي الذي أخذ يدعو للتمرد على سلطة العباسيين وإقامة خلافة جديدة يحكمها العلويون إحدى النقاط البارزة في نشاط الفضل البرمكي، وفي سنة 176هـ ولاه الرشيد طبرستان وأذربيجان[3] وقومس[4] واتفق في هذه السنة نفسها إن إن اشتدت حركة يحي بن عبد الله العلوي ببلاد الديلم[5] وادعى الأمانة[6] وقوى أمره ونزع ونزع إليه الناس من الأمصار فاختار الرشيد لإخماد هذه الحركة الفضل بن يحي وبعثه مع جيش الكبير.

ولكن الفضل اختار لإخماد هذه الحركة الحلول السياسية فحاول إقناع يحي بقبول الصلح حقنا للدماء وايشفاقا على العلويين[7]، ولهم أن قصة العباسة وعلاقتها بجعفر

---

[1] ابن طباطبا، المصدر السابق، ج8، ص 205.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 240، 241.

[3] أذربيجان: إقليم واسع مشهور من أشهر مدنه تبريز، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 128.

[4] قومس: هي منطقة تشمل قرى عديدة وتقع في جنوب طبرستان، الحموي، المصدر السابق، ج16، ص 414.

[5] الديلم: بلاد الجبال، اسم ماء لبني العباس، الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 544.

[6] الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص 141.

[7] الطبري، المصدر السابق، ج8، 242، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 194.

البرمكي لاعتماده عليها لتفسير أسباب استنكار الخليفة الرشيد سياسة البرامكة ونكبتهم[1].

فكان أن أجابه يحي العلوي إلى صلح ولكن اشترط عليه أن يكتب له الرشيد بخط يده الأمان فوافق الرشيد على ذلك وكتب نسختين الأولى أرسلها إلى يحي واحتفظ بالنسخة الأخرى[2]، تزايد منزلة جعفر بن يحي البرمكي عند الخليفة الرشيد: كان للرشيد أسبابه في التقريب جعفر بن يحي البرمكي إليه، وذلك لارتياحه له أكثر من غيره لذلك طلب من أبيه نقل الخاتم إلى جعفر بدل الفضل لأن جعفر كان صاحب الفصاحة والذكاء والفطنة.

وأصبح في فترة قصيرة رئيسا لحرسه ومستشاره الخاص ومع مرور الزمن تمكن جعفر من الحصول على العديد من الوظائف الهامة، كإشرافه على ديوان الرسائل والتي أبدع فيها ونال من خلالها شهرة أدبية في الترسل لم ينلها أحد من الوزراء والأعوان.

وفي سنة 180هـ أرسل الرشيد جعفر إلى الشام حيث ثارت العصبية بين أهلها وتفاقم أمرها فقام جعفر بإسكان الفتنة وأعاد الأمن إلى ربوع البلاد[3]، وهنا ارتفعت منزلة منزلة جعفر عند الرشيد وتألق نجمه وأصبحت بيده أزمة أمور الدولة وبلغ الأمر بالرشيد إلى أنه أمر بنقش اسم جعفر على الدنانير والدراهم[4]، ويتضح ازدياد نفوذ

[1] يدل ذلك على اختلافات المؤرخين وإبداء شكهم فيها عندما يعرضون لهذه المشكلة، الجهشياري، المصدر السابق، ص 243، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص 307.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 343، الجهشياري، المصدر السابق، ص 190.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 262، الجهشياري، المصدر السابق، ص208.

[4] إبراهيم سلمان الكروي، المرجع السابق، ص 102.

جعفر عندما أذن له الرشيد النظر في المظالم وبلغ نفوذه عند الخليفة مبلغا عظيما، فأشار عليه الرشيد بتولية المأمون العهد بعد أخيه ألأمين[1].

نكبة البرامكة:

يمكن القول إنه من الصعب إعطاء فكرة وثيقة أو سبب وجيه حمل الرشيد على التنكيل بهم، لأن الرواة يتعصبون لهم وعليهم، حيث اختلف أصحاب السير والتواريخ في السبب في ذلك[2]، فمنهم من يرى الرشيد ما كان يصبر على أخته العباسة ولا عن جعفر بن يحي فقال له:" أزوجكما حتى يحلّ لك النظر إليها فكانا يجتمعان وهما شابان ثم يقوم الرشيد عنهما ويخلوان بأنفسهما، حتى علم الرشيد فكان ذلك سبب نكبة البرامكة[3].

ومنهم من يرى أن إدراك الرشيد إلى ماتوصلوا إليه من سلطان أصبحوا يشكلون خطرا عليه هو الخليفة مسلطا على رقبته، ولكن البرامكة لم يحسنوا استعمال هذه السلطة فضربوا على يد الرشيد واستبدوا بأمور الدولة ووزعوا الأموال على الأتباع إلى حد أن شهرتهم غلبت على شهرة الرشيد وتضاءل نفوذه بالنسبة إلى نفوذهم[4].

ويمكن القول من الأسباب التي أدت إلى اضمحلال نفوذ البرامكة وفاة الخيزران 173هـ[5]، حيث كانت السند المتين لهم والركيزة التي يعتمد عليها يحي بن خالد البرمكي فقد كانت هي الناظرة في الأمور وكان يحي يعرض عليها ويصدر عن رأيها[6].

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص 211.

[2] عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص 128.

[3] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 207.

[4] إبراهيم سلمان الكروي، المرجع السابق، ص 104.

[5] الخيزران: زوجة المهدي وأم ولد كانت جرشية ولدت المهدي للهادي والرشيد توفيت في 173هـ، الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج14، ص 330.

[6] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 234، ابن الكثير، المصدر السابق، ج10، ص 161.

فقد استرد الرشيد خاتمه من البرامكة وسلمه للفضل بن الربيع ومن هنا تبين للرشيد بعد وفاة الخيزران مدى ماسلبه البرامكة إياه من سلطان وأنه أدرك إلى ما وصل إليه من نفوذ فاق نفوذه وشهرة غلبت شهرته ولم يلبث أن عقد العزم على ضرورة التخلص منهم[1].

ومن الأسباب التي شاعت لتفسير سقوط البرامكة ميلهم للحزب العلوي سرا ومساعدتهم على التمكن من الرشيد[2]، وحسبما تجمع لدينا من روايات فإن أول من أفصح على رأيه في هذه القضية هو المؤرخ ابن خلدون حيث رفض أي قصة الاعتماد على الأسس الأخلاقية والأعراف العربية[3]ويذكر المؤرخون أيضا

ولعل اختلاف المؤرخين في سبب نكبة البرامكة في سنة 187هـ[4] يرجع إلى الغموض الشديد الذي اكتنف الحدث وتكتم الرشيد في الإفصاح عن السبب الذي دفعه إلى هذا العمل بل إنه نفسه كان لا يدري السبب في نكبتهم بدليل أنه علق على ذلك بقوله:" لو علمت يمني بالسب الذي من أجله فعلت هذا لقطعتها"، ويروي الطبري أن الرشيد قال للسندي حينما بعث إليه ليأمره بقتل البرامكة:" ياسندي إني بعثت إليك عن أمر لو علم به رز قميصي رميت به في الفرات"[5].

ونعتقد أن نكبة الرشيد للبرامكة لم يتسبب فيها عامل واحد بل حدثت لعدة أسباب متضافرة نصنفها في الأتي:

1/ العامل السياسي:

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص238.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 244.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 43- 44.

[4] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 209.

[5] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص 152.

فقد كانت للبرامكة ميول سياسية ومذهبية في آن واحد تشكل خطرا جسيما على سلامة الدولة[1]، وخير مثال على ذلك إطلاق جعفر سراح يحي العلوي من السجن دون معرفة الرشيد ولما بلغ الخبر الى الفضل بن الربيع عن طريق أحد عيونه رفع الأمر إلى الرشيد، وحين استفسر الخليفة من جعفر عن الأمر أقوله بما فعل، فتظاهر الرشيد لعدم تأثره بذلك بل أظهر رضاءه عليه وقال نعم ما فعلن ما عدوت ما كان في نفسي ثم أمر بانصراف جعفر قائلا:" قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك"[2].

وتبين لنا من خلال التهم التي وجهت إلى البرامكة بوجه عام وجعفر بوجه خاص كانت ذات صيغة سياسية والقليل منها يكفي لتحول الرشيد عليهم والسعي للانتقام منهم خاصة، وأنه كان يعتمل في نفسه الشعور بالغيرة ممن سياسته في سلطانه ويشاركه في نفوذه[3].

2/ العامل الاقتصادي:

لقد سيطر البرامكة على أموال الدولة وأنفقوها في وجوه شتى وفق أهوائهم وبالغوا في ذلك إلى حد أن الرشيد نفسه كان لا يحصل على مال إلا بإذنهم يحتزونه دونه وفي ذلك يقول المسعودي:" إن الرشيد نكب البرامكة وزرائه لأنهم اختاروا الأموال دونه حتى كان يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه"[4]، ويؤيد ابن خلدون المسعودي في ذلك فيقول:" وإنما نكب البرامكة ماكان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه"[5].

---

[1] الدوري، المرجع السابق، ص 168.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 189.

[3] إبراهيم سلمان الكروي، المرجع السابق، ص 110، 111.

[4] المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 173.

[5] ابن خلدون، المقدمة، ص 19.

ويمكننا الحصول على فكرة تقريبية لما أخذه البرامكة من أموال الدولة إذا نظرنا إلى واردهم السنوي وإلى أعظم الهبات التي وهبوها[1] فيذكر ابن قتيبة أن مبلغ من جباية البرامكة سنويا بلغت عشرين مليون درهم وهو مبلغ ضخم آنذاك، وأن مقدار ماقبضه الرشيد من أموالهم بلغ ثلاثين مليونا وستمائة وستين ألف درهم"[2].

ويروي الجهشياري أن أكثر أموال البرامكة على شكل ضياع وجوهر بينما أنفقوا أكثر الدراهم في المكارم[3]، هذه هي مجمل الأسباب التي حملت الرشيد على التخلص من خدماتهم.

أما عن تاريخ النكبة فقد حدد المؤرخون سنة 187هـ وهي السنة التي حج فيها الرشيد مع جعفر بن يحي لما عاد من مكة أمر خادمه وكان مبغضا لجعفر بقتل جعفر[4]، وبعد قتل جعفر أمر بحبس يحي والفضل ومصادرة أموالهم وكتب إلى عماله بقبض أموالهم واعتقال وكلائهم[5] وفي سنة 190 هـ توفي يحي بالحبس وتبعه الفضل بثلاثة سنين 193هـ[6].

ولما أفضت الخلافة إلى الأمين أطلق سراح ابني يحي بن خالد من الحبس وأحسن إليهم[7]، وهكذا زال سلطان أسرة البرامكة دون أن يحتج واحد من أنظارهم وشيعتهم، ويدل هذا على مهارة الخليفة وحزمه وحنكته وقد استطاع الرشيد الإيقاع بهم دون أن يصرح بالسبب الذي دعاه إلى ذلك ولا شك في القضاء على هذه الأسرة كان

---

[1] عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 132.

[2] ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص 322.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص 242.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص295، الجهشياري، المصدر السابق، ص 243، ابن الأثير، ج6، 69.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ج3، ص152، الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 296.

[6] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص341.

[7] الجهشياري، المصدر السابق، ص 297.

خسارة فادحة على الدولة العباسية في ظل البرامكة بلغ ذروة التنظيم بفضل ما قدمه البرامكة من جهود من الناحية السياسية والإدارية[1].

ثانيا: أل سهل ودورهم في الصراع بين المأمون والأمين:

لم ينته دور البرامكة نكبتهم وإنما تركوا في الإدارة ربائبهم وصنائعهم وهم أل سهل وهي أسرة فارسية تنسب إلى بلدة سرخس[2] في خراسان وكان سهل بن زادا نفروخ أب هذه الأسرة من أبناء ملوك فارس المجوس أسلم في أيام الرشيد واتصل بيحي البرمكي عالم قهر مانالله، وكان ذلك بداية الاتصال بآل سهل والبرامكة، ثم أحصر سهل ابنيه الفضل والحسن وقدمهما للبرامكة وعرفهما بيحي بن خالد الذي أعجب بالفضل وذكائه وطموحه وعمق فهمه، وطلب منه أن يعتنق الإسلام حتى يستطيع أن يدخله في خدمته فوافق الفضل وأسلم على يد المأمون سنة 190هـ ومن ذلك الوقت أصبح أبناء سهل ملازمين للبرامكة في خدمتهم و يأخذون عنهم أمور السياسة و الإدارة حتى نكب البرامكة فلزم الفضل المأمون وعمل كاتبا ومستشارا له[3].

دور الفضل في الفتنة:

أسلم الفضل[4] في عهد الرشيد[5] ومنذ إسلامه وهو مرتبط بالمأمون فقد تولى هذا الأخير أموره بعد نكبة البرامكة بعهد من الرشيد[6] فأخذه الفصل بن سهل منذ دلك

---

[1] إبراهيم سلمان الكروي، المرجع السابق، ص 122.

[2] سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة وواسعة تقع بين نيسابور ومرو، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج10، ص 208.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص 304.

[4] الفضل بن سهل: بن زدان بن فروخ السرخسي وزير المأمون وأخو وزير المأمون الحسن بن سهل، أسلم ابوه على يد المهدي، وأسلم الفضل على يد المأمون سنة190هـ، لقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والحرب، قتل سنة 202هـ، الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص 99، 100.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص320.

[6] الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص99.

الوقت بعمل من أجل المأمون وإن كان يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق أهدافه الخاصة[1]، فقد عمل على تثبيت ولاية العهد للمأمون لقناعته بذلك فقد أشار عليه أن يطلب من والده الخروج معه لضمان حقه حتى لا يصبح وحيدا في بغداد.

لأن الأمين كان في وسط أنصاره وإتباعه ونجح الفضل بن سهل في خطته فقد جدد الرشيد في سفرته هذه البيعة للمأمون على من معه بالانضمام إليه بعد وفاته، و أرسل كتابا بذلك إلى الامين ببغداد[2]، ثم بعث الرشيد المأمون إلى مرو[3] لعدم قدرته على مواصلة السير بسبب المرض وبعث معه عدة من رجاله والفضل بن سهل[4].

بعد وفاة الرشيد كتب الأمين كتبا إلى إخوته ورجال أبيه يطلب فيها البيعة وموزاة مع ذلك أمر الفضل بن الربيع بجمع الجيوش والأموال وقدم على الأمين مناصرا ببغداد، وبعد قراءتها وما كان من أمر الفضل بن الربيع من جمعه للجنود والأموال وقدومه على الامين ببغداد وبعد معرفة المأمون بذلك قام بجمع من كان من قادة أبيه وكان منهم يحي بن معاذ[5] وتسبب بن قحطبة[6] ومن أهل بيته عبد الرحمن بن عبد

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص 280.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 337، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص 223.

[3] مرو: هي مرو الشاهجان ومعناها الحجارة البيضاء التي يقدح بها وهي أشهر مدن خراسان وهي غنية بالخيرات كثيرة الأنهار مغدقة الخضرة ينسب إليها سفيان الثوري، أحمد بن حنبل، الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 132.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 341.

[5] يحي بن معاذ: أحد قادة المأمون كان من كبار رجال الدولة العباسية زمن الرشيد الذي عقد له على الشام، ثم اختاره مع من وجههم لصحبة المأمون إلى مرو قبل وفاته سنة 193هـ، وواقع يحي بن معاذ بابك في سنة 204هـ ولم ينتصر عليه، توفي 206هـ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، 323-341.

[6] شبيب بن قحطبة: شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس الطائي أحد أبرز رجال الدعوة والثورة العباسية وفد على إبراهيم الامام في الحميمية قائد جيوش العباسيين التي زحفت في خراسان إلى الكوفة فغرق أثناء عبوره الفرات في إتراين هبيرة سنة 132هـ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج21، ص 75، 76.

الملك بن صالح وذو الرياستين[1] فقام المأمون بمشاورتهم في أمر الفضل بن ربيع والجند بعد أن أخبرهم بالأخبار، فأشاروا عليهم أن يلحقهم في فارس[2] فيردهم في حين رأى الفضل أن يكتب كتابا ويرسله إليه بدلا من إرسال الجيش إليهم لأنه كان يرى في ذلك خلاص ونهاية المأمون.

فبعث المأمون إليهم رسولا يذكرهم بالعهد بالبيعة التي أقرها الرشيد سنة 193هـ[3]، بالانضمام إلى المأمون وسألهم المأمون الوفاء بالعهد وأخبره أن هذا الكتاب يقوم مقام المأمون دون الحاجة لخروجه بنفسه وتعرضه للوقوع في أيديهم وبالتالي يذهبون به إلى بغداد ويسلمونه للأمين وهذا يحقق لهم هدفهم.

كما يكون المأمون بهذا الطلب قد برء ذمته لو حدث أي حادث لأنه ذكرهم وحذرهم بما فيه عملهم، ولم يكتف الفضل بن سهل بالإشارة عليهم بأمر الكتاب بل اختار لهم الرسل الذين كلفوا بأمر هذه المهمة، فهذا الفضل بن سهل المأمون وأتى له بأخبار السابقين ثم بشره بالخلافة.

لقد كان الفضل بهذا ذا رأي وتدبير أرشد الخليفة مافيه الخير والصلاح وأوضح له مايجب فعله بالتحديد لتحقيق طلب البيعة التي تركها أبوه الرشيد، فكانت هذه محاولة من الوزير الفضل بن سهل سعى بها إلى تجنيب الدولة انقساما ربما يضيع جهود الخلفاء السابقين ويجعل دولتهم في طي النسيان[4].

وقد أشار الفضل بن سهل على المأمون أن يقترب من الفقهاء أخذ يعطي الوعود لبعض الرجال يتولى المناصب في الدولة، وهذا ما أدى بميل الناس إليهم وجعل الناس

---

[1] ذو الرياستين: رياسة الحرب، رياسة التدبير، سمي ذو الرياستين لجمعه بين القلم والسيف والفضل بن سهل لقب بهذا القلبةلأنه تقلد الوزارة والحرب، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 218 .

[2] فارس: ولاية واسعة واقليم فسيح في إيران أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرامان السرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف، ومن جهة السند مكران، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص221.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 266- 371.

[4] الجهشياري، المصدر السابق، ج8، ص 277.

يحبون المأمون أكثر من الأمين وميله إليه[1]، كما عمل الفضل بن سهل على جذب العباس بن موسى[2] إلى صف المأمون، فقد كان الأمين بعثه إليه وأخذ يحادثه حتى أخذ عليه البيعة للمأمون ويكون عينا لهم على الأمين[3].

وبذا كان الوزير عينا للخلفاء على الرعية وواسطة بينهم فحجبوا بذلك الخلفاء عن مباشرة تواصلهم مع أفراد المجتمع واستأثروا بالقرارات وتقليد المناصب وإعطاء الوعود واستقطاب الأنصار.

واستمر الفضل بن سهل يبذل كل جهوده من أجل المأمون فكان يحرضه على الرأي المخالف لأوامر الأمين سعيا منه أن يظهر المأمون بالخلافة فتكون لهم المكانة والمنزلة الرفيعة[4].

وهنا بدأ الصراع يتطور بين الأخوين وهذا ما أدى إلى اشتعال الفتنة بينهما بوفاة الرشيد 193هـ، ومبايعة الأمين بالخلافة[5]، وكان المأمون يومها بمرو وجند الرشيد بطوس[6]، وقد جاءتهم كتب الأمين تتضمن أوامره وسياسته، وعاد الفضل بن الربيع بأهل بيت الرشيد والجند والأموال إلى بغداد ليكون تحت تصرف الأمين كما ذكرنا سابقا، واقر الأمين أخاه القاسم على الجزيرة.

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 371، 372، الجهشياري، المصدر السابق، ص 287-289.

[2] العباس بن موسى: بن عيسى العباسي الهاشمي ولي ولاية مصر 197هـ فأرسل ابنه فاشتد ابنه عليهم مما أدى إلى عزله وإعادة المطلب فلما علم العباس بأمره خرج إليهم بنفسه وفي أثناء محاربته لهم مرض فمات 199هـ، الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص 267.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 139.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 377.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص345، القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص259.

[6] طوس: مدينة بخراسان قريبة من نيسابور بها قبر هارون الرشيد خرج منها جماعة من أئمة العلم والفقه منهم أبي أبي حامد بن محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي وأخيه الفتح أحمد الغزالي، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 49.

أما المأمون فعندما وصله خبر نعي الرشيد دخل دار الإمارة ونعاه للناس على المنبر ثم بايع للأمين ولنفسه[1]، وأقام على ما كان يتولى من عمل خراسان ونواحيها وكاتب الأمين بذلك وقد أهدى إليه هدايا كثيرة واخذ يبعث بالكتب إليه مع الهدايا من طرف خراسان[2].

ولكن هذا الاستقرار لم يدم طويلا فلم يمضي عام على وفاة الرشيد وتولي الأمين الخلافة حتى بدأت الفتنة تشعل نيرانها بين الأخوين وذلك بسبب تصرفات الفصل بن الربيع ورجوعه بالجيش والأموال إلى بغداد مخالفا بالعهود التي أخذها عليهم الرشيد قبل وفاته، بأن يكون ذلك كله مع المأمون.

ومن هنا بدأ المأمون يتحرك بمشورة الفضل بن سهل وذلك لأخذ حقوقه التي جعلها له الرشيد ولكن هذا الخلاف لم يكن علنيا في البداية إلا أن وزيريهما كان لهما دور بارز في اتساع الصراع بينهما خاصة وأن المؤرخين يؤكدون على أن كل منهم كان يخدم لنفسه[3].

ولا يخفى علينا أيضا أن الفضل بن الربيع الذي ناصر الأمين كان يريد أن يتخلص من المأمون مخافة على نفسه من أن يعاقبه جراء تصرفاته، وكان الثمن أن أوقع الأمة الإسلامية في الفتنة[4]، أما الفضل بن سهل كان يهدف من نقل الخلافة إلى

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص373.

[2] ابن الأثير المصدر السابق، ج10، ص 223، الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 373، وذكر أن المأمون حسد الأمين لذلك وقع الخلاف بينهما، والواقع أن المأمون لم يحسد الأمين ولكن ماوقع بينهما نتيجة لتحريض وزيريهما ومستشاريهما الفضل بن ربيع والفضل بن سهل.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 374.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 375.

إلى المأمون وتحريضه على إقامته بخراسان وإلى نقل الحكم العباسي إلى البيت العلوي[1].

لقد بدأت بوادر الفتنة تظهر بصورة واضحة في أوائل 194هـ عندما قدم الفضل بن الربيع بغداد قادما من طوس ومعه الجند إذ أدرك المأمون لو أفضت إليه الخلافة وهو حي لم يبق عليه، فأخذ يسعى لدى الأمين ويحثه على خلع المأمون ويبقي ولاية العهد من بعده لابنه موسى ولم يكن ذلك من رأي الأمين، لأنه كان ينوي الوفاء بالعهد لأخويه.

ولكن الفضل بن الربيع الذي زين له خلع المأمون[2]، واستصغر عنده هذا الأمر وهونه عليه، فبدأ الأمين يتأثر بأفكار الفضل بن الربيع لأنه كان دائما يردد له ذلك حتى هان الأمر في عينه لاسيما وأنه سمع من المأمون قد جمع حوله في مجالسه العلماء والفقهاء وحب الناس له واستمالته للجماهير وجلوسه لرد مظالمهم والقضاء في أمورهم ولعمله بالكتاب والسنة، وكذا ماكان من تخفيض الخراج على أهل خراسان[3].

وكل هذا جعل الرعية تركن إلى المأمون وليس أدل على ذلك من أن رافع الليث الخارجي[4] لما سمع بحلم المأمون وصفحه أرسل إليه طالبا الأمان فأمنه واستقدمه وعند وصوله إلى مرو أكرمه وعفى عنه[1].

---

[1] الدوري، المرجع السابق، ص 153، 154، ويرجع السبب في قيام الفتنة إلى الفضل بن سهل ومعظم المؤرخين يرجعون السبب الأكبر إلى الفضل بن الربيع، والراجح أنه كان لكلاهما دوره في اشتعال نار الفتنة، الخصري، تاريخ الأمم الإسلامية، ص162.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص 222، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ص 145، 146، ذكر أن الأمين هو الذي فكر في خلع المأمون وأن الفضل بن الربيع شجعه على ذلك، بينما اتفقت المصادر والمراجع على أن الفضل بن الربيع هو الذي حرض الأمين على الخلع وهو الراجح لأنه كان في نيته الوفاء ولو كان في نيته الغدر لما انتظر أن يحرض من الأتباع والأعوان.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 376، الجهشياري، المصدر السابق، ص 276.

[4] رافع بن الليث بن ظهر بن يسار: ثار بسمرقند مخالفا للرشيد وخالعا له، انتصر على علي بن عيسى قائد الرشيد فخرج إليه الرشيد بنفسه في 192هـ، وهزم في 193هـ، الذهبي، المصدر السابق ج9، ص 12.

ولما علم الامين بأمر رافع أنكر ذلك كله وبدا يستفز المأمون ويضايقه إذ كتب إلى جميع العمال في الأمصار يطلب منهم الدعاء لابنه موسى بالإمارة بعد الدعاء له وللمأمون ولم يبقى في عام 194هـ أن عزل أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه قد ولاه وأمر أخاه بالقدوم إلى بغداد[2]، فظن المأمون إلى خطورة الموقف وأدرك قيام المأمون بعزل القاسم نذير بعزله هو الأخر[3].

وفي نفس هذه السنة نهى الأمين عن الدعاء على المنابر لأخويه المأمون والقاسم وأمر بالدعاء ولابنه الطفل موسى وذلك كله تدبير من الفضل بن الربيع الذي كانت له اليد الطولى في كل ما يحدث[4].

ولما سمع المأمون بعزل القاسم وبالدعاء لابنه أخيه أدرك أن الأمين ينوي تغيير العهد فاضطر إلى مناهضته والوقوف في وجهه وقطع البريد عن الأمين، وأسقط اسمه من الطرز[5] والسكة[6]، ثم سمي بإمام المهدي حيث بلغه إقدام أخيه الأمين على خلعه من ولاية العهد وحذف اسمه من الخطبة[7]، وتبعث منه الخطوة خطوة أخرى عجلت بتدهور العلاقات بين الأخوين[8].

وفي سنة 194هـ إذ بعث المأمون كتابا إلى أخيه المأمون يطلب فيه أن يبعث له ماله ليتقوى به على إصلاح ماتحت يده من الثغور وكذلك يبعث له ولده وأهله، وكان

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 377، الكروي، المرجع السابق، ص141.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص378، الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص 335.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 20، الكروي، المرجع السابق، ص 143.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 389.

[5] الطرز: وهو ما ينسج من الثياب للسلطان وهو من أبهة الملك والسلطان وترسم أسماؤهم أو علامات تخصهم في أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج، ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص 368.

[6] السكة: هي الدراهم المنقوشة وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد ينقش فيه صور الحكومة، ابن منظور، المصدر السابق، ج10، ص 440.

[7] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 375، ابن خلدون، العبر، ج3، ص 232.

[8] الجهشياري، المصدر السابق، ص 292.

الفضل بن سهل قد أشار عليه بذلك وهو يعرف مقدما بأنه لن يجد قبولا لدى الأمين، فيكون رفضه لذلك حجة عليه لخلعه ومحاربته وحتى لا يظهر المأمون هو المبادر بالفتنة، وقد صدف حدس ذلك الفضل بن سهل[1]فلما ورد كتاب الأمين على المأمون غضب لذلك فأشار عليه الفضل بن سهل بإخفاء نواياه بالخلع حتى يضطره إلى ذلك فبدأ الأمين في خلع أخيه من ولاية العهد والجهر بذلك دون تردد[2].

ويعود الفضل بن الربيع ليشير على الأمين بأن يكتب كتابا يتقرب فيه إليه و يطلب منه الصفح عما في يده بينما أشار عليه إسماعيل بن صبيح[3] بأن يضمن كتابه كتابه رغبته لأخيه في مؤازرته له والاستعانة برأيه، وأن يسأله القدوم إليه لأن ذلك أبلغ وأوجب للطاعة والإجابة فمال الأمين والفضل إلى رأيه فبعث بكتابه[4]، ثم وجه الأمين لأخيه المأمون أربعة رسل منهم العباس بن موسى ومعهم كتاب.

وعند قراءة المأمون كتاب أخيه لن يجبهم وإنما أكد لهم إدراكه لفضل أمير المؤمنين ونعمته عليه فخل الفضل بن سهل بالعباس بن موسى وأخذ يستمليه إلى جانب المأمون فوعد بآمرة الموسم ومواضع من مصر فأجاب سر البيعة المأمون ووعد أن يكتب إلى المأمون بأخبار بغداد عند عودته[5].

وعند العودة أخبروا الأمين بأن المأمون يرفض تقديم موسى عليه في البيعة وبهذا أصبح العباس بن موسى عينا على الأمين يبعث بأخباره إلى المأمون[6]، ويوحي هذا

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 381- 383.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص 292، الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 385.

[3] إسماعيل بن صبيح: كان أبوه مولى عتاقة لسالم الأفطس، ولما أعتق سالم الأفطس صبيحا، جعله قيما لمسجد حران، وكان سالم مولى عتاقة لبني أمية كتب إسماعيل للرشيد والأمين، الجهشياري، المصدر السابق، ص 300، 301، ابن الآبار، اعتاب الكتاب، ص 102- 104.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 400، 401.

[5] الجهشياري، المصدر السابق، ص 289، 290، الكروي، المرجع السابق، ص 145.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 92.

ببداية تمزق صف الأمين وتغرق أصحابه عنه وميلهم إلى تأييد المأمون، وكل هذا بتدبير من الفضل بن سهل الذي وطد الأمر ودبره ليقلب موازين القوى لصالح المأمون[1].

اضطر المأمون بعد أن تأكد من حقيقة نوايا الأمين العدائية نحوه وماكان يضمره من سوء إلى إغلاق الحدود بينه وبين العراق حتى يمنع الأمين من التأثير على أهل خراسان وكل هذا بإشارة من الفضل بن سهل الذي لم يترك لرسول ورواد الفضل بن الربيع الفرصة في أن يثبتوا شيئا في عامة أهل خراسان، كما أنه نصح المأمون بأن لايكون المستفتح باب الفرقة حتى لايفقد عطف العامة إذ والعامة دائما مع المظلوم[2]

ولعل تحمل المسؤولية في تدهور العلاقات بين الأخوين إلى الفضل بن الربيع الذي لم يكن يحب المأمون ولا ولايته وإلى الفضل بن السهل الذي كان يأمل في تولية المأمون على أن يكون الخلافة مرو حاضرة الخلافة العظمى وتعود خراسان لمجدها وعظمتها[3].

وفي خطوة أخرى لخلع المأمون قام الفضل بن الربيع بنشر شائعات ضد المأمون وأمر الأمين بأخذ كتابي العهد[4]، وفي سنة 195هـ أمر بإسقاط جميع الدنانير والدراهم التي ضربت لأخيه المأمون بخراسان وكان المأمون قد أمر ألا يثبت فيها اسم أخيه[5].

ولم يكن المأمون بطبيعة الحال من السذاجة بحيث يقبل هذا التصرف دون أن يعمل على الدفاع عن حقه، ولقد كان واثقا من أنصاره الفرس الذين سمحت لهم الفرصة من جديد للوصول إلى النفوذ واسترجاع مافاتهم منهم في عهد المنصور

---

[1] الكروي، المرجع السابق، ص 146.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 389، الكروي، المرجع السابق، ص 146.

[3] الخضري، المرجع السابق، ج2، ص 220، الكروي، المرجع السابق، ص 147.

[4] الجهشياري، المصدر السابق، ص 292.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 389.

والرشيد[1]، ووصل النزاع بين الأخوين إلى ذروة الخطورة وتأزمت الأمور وكان لابد أن يقع بينهما صدام مسلح وشيك يذكي ناره الوزيرين الفضل بن الربيع والفضل بن سهل.

كان الفضل بن الربيع يشرف على إعداد جيش الأمين فكان أول من قام به أن اختار علي بن عيسى بن ماهان لأمرة جند العراق وولاه الأمين كور الجبل كلها[2]، ولكن بهذا التعيين أدى الأمين بأخيه المأمون خدمة عظيمة ذلك أن أهل خراسان لم يكونوا قد نسوا بعدما عاملهم به علي بن عيسى مدة ولايته عليهم في عه الرشيد، فأثار تعيينه لحربهم في قلوبهم ثائرة وعزموا على مواجهته والقتال ضده بعد أن أبدلهم الله بالمأمون خيرا منه عدلا ورفقا[3].

في سنة 195هـ سار علي بن عيسى من بغداد على رأس جيش كانت عدته كبيرة لملاقاة جيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين[4] وحدثت أول معركة في الري بين جيش الأمين بقيادة على بن عيسى بن ماهان الذي استهان بجيوش طاهر[5] قائد جيش جيش المأمون، وانتهت هذه المعركة بهزيمة ساحقة مني بها جيش الأمين وسقط علي بن عيسى قتيلا وبعد هذه المعركة أقبل الفضل بن سهل على المأمون وأخبره بالنصر وسلم عليه بالخلافة، وأمد طاهرا بالرجال وسماه ذا اليمينين وصاحب حبل الدين[6].

---

[1] الكروي، المرجع السابق، ص، 148.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 390، 391.

[3] الخضري، المرجع السابق، ج2، ص220، الكروي، السابق، ص 149.

[4] طاهر بن الحسين: بن مصعب بن رزيق الخزاعي ويكنى بأبي الطيب، وأبي طلحة ويلقب بذي اليمنين لأنه كان أعور العين اليسرى فلقبه المأمون بذلك، تولى قيادة جيوش المأمون ضد أخيه الأمين، الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص 221.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، 390، 391.

[6] الكروي، المرجع السابق، ص 151.

ثم ما لبث أن أعد الأمين جيشا قوامه ألفا من الأبناء[1] بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الأبناوي[2]، ووجهه لحرب طاهر بن الحسن ودعمه بالأموال وقواه بالسلاح، وأمره في الإسراع في السير وحدثت معركة بينه وبين جند المأمون، ولما علم المأمون بمقتل عبد الرحمن وهزيمة جيشه دعا الفضل بن سهل وعقد له في رجب 196هـ على المشرق من جبل همذان[3] إلى بحر الديلم[4]، وما إن وصل خبر مقتل عبد الرحمن بن جبلى إلى بغداد حتى بعث الفضل بن الربيع إلى أسد بن يزيد بن مزيد فجاء الأسد إلى الفضل عن تخوفه من زوال ملك الأمين ودولته، وجعله قائدا للجند فوافق أسد على ذلك ولكنه طالب الوزير بعده بعدة مطالب منها أن يأمر لأصحابه برزق سنة ولا يسأل عن محاسبة مايفتتح من مدن والكور، ولم يطمئن الفضل بن الربيع أمام المطالب فخاطب الامين بشأنها فغضب الأمين وأمر بحبس أسد[5].

واستمرت المعارك بين الأمين والمأمون مدة وظفت فيها الدعاية وجيشت لها الجيوش وكان الواحد منهما للأخر بدعم الوزيرين، وبقي أمر الخلافة بين مد وجزر وحال الدولة قاب قوسين أو أدنى من الزوال ليختتم المشهد بمقتل الأمين وتولى المأمون الذي خلع القاسم من ولاية العهد[6].

---

[1] الأبناء: هم الجيل الثاني من أهل خراسان الذين ناصروا العباسيين حاربوا الأمويين، أسسوا الخلافة العباسية.

[2] عبد الرحمان الأبناوي: من كبار القواد في العصر العباسي الأول، قاد جيوش الأمين ضد طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون وعامله على مايفتتحه من خراسان فقائلهم بقتل في شلا شان وقيل أسد باذ، الذهبي: المصدر السابق، ج9، ص 302.

[3] همذان: نسبة إلى همذان بن الفلوج بن بسام بن نوح اشتهرت بعذوبة مياهها وطيب هوائها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 223.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 414، الخضري، المرجع السابق، ص 223.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 418، ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص 235، وذكر أن سبب حبسه حبسه لأنه نقم على الأمين لعبه وتعاونه مع أمر الرعية.

[6] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 499.

قد عرفنا جهود الفضل بن سهل في سبيل إعلاء المأمون في عرش الخلافة إذ كان الفضل بن سهل يقف إلى جانبه منذ عهد الرشيد وفي عهد أخيه الأمين كان يؤيده في مواقفه ضد أخيه وكان يشاركه الرأي وبايعه في عهد مبكر سنة 194هـ[1] ولقبه بالإمام ثم حدد بيعته بالخلافة 195هـ قبيل انتصار جيش طاهر بن الحسن على جيش علي بن عيسى بن ماهان كما كان يحرضه على محاربة أخيه والتخلص منه نهائيا حتى تنقاد له الخلافة وحده[2].

وكان الفضل بن سهل منذ توليه الخدمة في القصور العباسية يعمل على تحقيق طموحاته في الوصول إلى أعلى المناصب ليكون ذا سلطات واسعة ليحكم البلاد وكان مع ذلك يتشيع للعلويين يهدف إلى نقل الخلافة من بني العباس إلى بني علي ومن ثم ينقلها إلى الفرس لذلك عمل بجد في سبيل تحقيق ذلك[3]، وظل يعمل في البلاط العباسي ضمن رجال الحاشية إلى أن حانت له الفرصة لكي يدخل في صياغ القراءات السياسية وخاصة مع المأمون لأن كان يعلم ببيعة الرشيد له بولاية العهد من بعد أخيه الأمين ولأن أم المأمون فارسية[4].

لقد استطاع الفضل بذكائه وطموحه وقدرته السياسية على أن يستولي على قلب المأمون فأخذ يقربه منه حتى أصبح كبير مستشاريه وقد بلغت سلطته في عهد المأمون درجة التأمير مع الوزارة وكان يلقب بالوزير الأمير فهو أول وزير لقب و أول وزير اجتمع له اللقب وأول وزير اجتمع له اللقب و التأمير[5].

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 390، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 138.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص403.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص 306.

[4] الدوري، المرجع السابق، ص 211.

[5] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 221، الجهشياري، المصدر السابق، ص 306.

كما بلغت سلطته إلى درجة أن المأمون كان ينفذ جميع أراء الفضل فاستطاع أن يغير ولاة العهد فقد نقلها من البيت العباسي إلى البيت العلوي بمبايعة المأمون بالخلافة من بعده[1]، كما كان للفضل بن سهل دور كبير في رواتب الوزراء والعمال فكان أول من سن زيادة الرواتب[2].

ونتيجة لهذه المكانة التي وصل إليها الفضل أصبح يتصرف تصرف وزراء الأكاسرة ومن هذا نرى أنه قد بلغت سلطته حدا واسعا فهي سلطة لم ينلها أي وزير قبله سوى البرامكة أيام الرشيد فهو يسير على نهجهم وإن كان يحي بن خالد في بداية وزارته كانت الخيزران تشاركه في السلطة، ولكن بعد وفاتها انفرد بها وتقاسمها مع أبناءه وأحفاده أما الفضل فقد انفرد بها وحده واختص بها دون سواه فهو صنيع البرامكة ونموذجهم السياسي الذي قدموه للدولة[3].

لم ينته الثورة التي نشبت بين الأمين والمأمون فقط بما انتهت إليه من نتائج عسكرية على الطرفين بل امتدت أثارها إلى فترات طويلة الأمد فقد امتد أثرها ليؤثر على اختيار ولي العهد وامتدت جذورها إلى الوزارة وكان لها تأثيره ذا جانبين فالجانب الأول تأثر المأمون بالفضل بن سهل حتى بعد وفاته إلى درجة كبيرة فاستوزره الحسن بن سهل أخاه بعد عودته إلى بغداد في 204هـ، وذلك لأن المأمون أعجب بشدة ذكاء الفضل بن سهل والحسين بسياسته وتدبيره[4].

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 445.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 95.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص 313.

[4] ابن الآبار، اعتاب الكتاب، ص 107.

غير أن بعض المؤرخين يذكر أن أحمد ابن أبي خالد[1] هو من تولى منصب الوزارة بعد الفضل بن سهل، وأنه لم يعترف بوزارة الحسن بن سهل، ثم ولي الوزارة من بعده أحمد بن يوسف كاتب الحسن بن سهل بمشورة الحسن للمأمون باختياره وزيرا له وكاتبا بعد أحمد بن أبي خالد فتولى الكتابة في سنة 213هـ وقيل إلى سنة 214هـ[2].

أما الجانب الثاني بعد قدوم المأمون بغداد وتخلصه من الفصل بن سهل حرص على أن لايترك وزرائه في السلطة، كما كان الفضل في مرو بل كان يراقبهم ويقوم بنفسه في جميع اموره[3].

وبذلك يتضح لنا أثر الفضل بن الربيع والفضل بن سهل على الوزارة فقد جعلا المأمون يلغي فكرة الوزارة طوال الفترة مابين 218/202هـ، وبوفاته عاد هذا المنصب من جديد في عهد الخليفة المعتصم[4].

وهكذا نرى من كل ما ذكرناه من مواقف وأدوار خلال تتبعنا لأثر الوزراء الدور الهام الذي لعبوه على مسرح الأحداث في الفترة الممتدة من 232/132هـ، فكان للبرامكة وزراء الرشيد دور لاينكر في سياسة الدولة وحكم الرعية فاستأثروا بالمناصب العليا والقرب من الخليفة وعلا سلطانهم مما دفع في قلب الرشيد خوفا من ازدياد نفوذهم فاضطر إلى التخلص منهم، فكانت نكبتهم المعروفة.

وكذا الدور الذي لعبه بنو سهل في التأثير على المأمون إذ استطاعوا أن يحققوا كثيرا مما يأملون وتقربوا إلى الخليفة وطمحوا حتى في الوصول إلى ولاية العهد لينتهي أمرهم بمقتل الفضل بن سهل.

---

[1] أحمد بن أبي خالد الأحول: من موالي بني عامر بن لؤي وكان أبوه كاتبا لعبيد الله كاتب المهدي، الكروي، المرجع السابق، ص 200.

[2] ابن الآبار، المصدر السابق، ص 118.

[3] المسعودي، التنبيه والإشراف، ص 204.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 95.

الفصل الثالث

كتاب الخلفاء العباسيين

وتأثيراتهم السـياسـية

أولا: تعدد تخصصات الكتاب ومهامهم:

في العصر العباسي الأول كثرت الدواوين وتنوعت، كما تطورت الكتابة مما أدى إلى الاختصاص بين الكتاب بما يتناسب مع متطلبات أعمالهم، حتى نجد كاتبا شيخا زمن المأمون، ذكر أنواع من الكتاب، لكل نوع منهم تأهيل خاص به.

1/ديوان الخراج:

ويعتبر ديوان الخراج من أهم دواوين الدولة لأنه يشرف على الشؤون المالية، فهو عماد المال الذي هو عماد السلطان، وأحد قوائم الملك وأركانه[1].

وقال جعفر البرمكي الخراج عماد الملوك وأسرع الأمور في خراب البلاد وتعطيل الأراضي وهلاك وانكسار الخراج مثل الجور، وكانت من أكبر مهام ديوان الخراج جباية الخراج والنظر في مشاكله، فكانت تحفظ في هذا الديوان سجلات تقدير الضرائب، وكان يسجل في ديوان الخراج حدود كل بلد ونواحيه وكذلك أحكام الضياع إذا اختلفت فيه كل ناحية، وفي ذلك يقول ابن خلدون:" إعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي قيام على أعمال الجبايات وحفظ الحقوق الدولة في الدخل والخرج[2].

وتتركز معارفه على النواحي الحسابية والمالية ولا حاجة له إلى معرفة كبيرة في اللغة والأدب وينبغي لكاتب الخراج أن يكون خبيرا بإجراء الماء وحفر القنوات والأنهار وإقامة السدود[3].

ويفترض أن يكون جيد الفهم صحيح الذهن عارفا بأحكام ديوان الخراج، وحقوق بيت المال، كما كان لكاتب الخراج مكانة عالية، ومن مشاهير كتاب الخراج في

---

1 التنوخي، الشدة بعد الفرج، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ع 01، مج 10، 2010،ص 4،5.

2 ابن خلدون، المقدمة، ص 182.

3 ابن قتيبة، المصدر السابق ج1، ص 44،45.

العصر العباسي الأول نجد خالد برمك، تولى ديوان الخراج في عهد السفاح كان يتقلد في عسكر وخطبة خراج كل ما افتتحه فخطبة من الكور وتقلد الغنائم وقسمها بين الجند كما قسم الخراج فأحسن فيه إلى أهله[1].

وقد أعجب السفاح بفصاحته حتى توهم أنه من العرب فأقره على ما يتقلد من غنائم وجعل إليه الديوان، وفي عهد المنصور قلده خراج خراسان، ومن كتاب الخراج في عهد المنصور عمارة بن حمزة وثابت بن موسى[2].

ومن كتاب المهدي أبو الوزير عمر بن مطرق، ومن كتاب الهادي عبد الله بن زياد بن أبي ليلى ومنهم في عهد الرشيد أبو صالح بن عبد الرحمن وإسماعيل بن صبح، وفي عهد الأمين عبد الله بن عميرة ومنهم في عهد المأمون حسن بن سهل في عهد الواثق عمر بن الفرج الزرخجي[3].

2/ ديوان الجند

كان هذا الديوان ينظرون في شؤون الجند ويتولى رعاية تصريف أمورهم وفيه تسجل أسماؤهم وأوصافهم وأنسابهم ومقدار أرزاقهم وموعد استحقاقهم، واتخذ الجند العباسيون جيشا نظاميا ثابتا بدل الجيش القبلي وكان ولاؤه للدولة تعتني بتدريبهم وتموينهم المستمر وتجهيزهم، فكان هذا الجيش على درجة كبيرة من التنظيم[4].

وكان من مهام ديوان الجند أن يحوي على سجلات بأسماء الجند فكل جندي يثبت اسمه في الجريدة السوداء، وهي سجل خاص بأسماء الرجال وأوصافهم وأنسابهم

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص 87، 89- 99.

[2] الجهشياري، المصدر نفسه، ص 99- 120- 125.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 387، الجهشياري، المصدر السابق، ص 166.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج3، ص 223.

وأجناسهم ومقدار عطاء كل منهم، ويبدو أن في تسجيل الجند كثيرا من الضبط والدقة[1].

وكان تسجيل الجند في الديوان على أساس النسب والإقليم، فقد سجلت الفرق العربية التي تستند في تشكيلاتها إلى قبائل على أساس النسب إذا بتنظيم العرب على أساس انتمائهم القبلي[2].

ومن وظائف الديوان النظر في تنظيم وتوزيع العطاء والأرزاق على الجند من حيث مواعيدها ومقاديرها، والأسس المتبعة في ذلك، وقد استعمال كلمة عطاء بعدما قيام الخلافة العباسية وحلت محلها كلمة رزق[3].

ويشترط فيه أن يكون له معرفة بالحساب وضبطه، كما يتطلب من كاتب الجند معرفة المصطلحات الخاصة بالجند ودوانهم، كما يلزم أن يكون خبير بالسلاح عالما بالفروسية[4].

ومن أشهر كتاب الجند في عهد السفاح خالد بن برمك وفي عهد المنصور عبد المالك بن حميد وفي عهد الرشيد عبد الله بن عبده الطائي ومن كتاب الجند في عهد المأمون محمود بن عبد الكريم وزيد بن أيوب وقد عمل هذا الأخير في ديوان الجند أربعين سنة وفي عهد المعتصم خالد بن زيد، وكان شاعرا مشهورا رقيق الشعر[5].

3/ ديوان الرسائل:

[1] عمر فاروق فوزي، الثورة العباسية، ص 45،46،47.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 37،38، الماوردي، المصدر السابق، ص200.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 365.

[4] ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج4 ص 203.

[5] الجهشياري، المصدر السابق، ص 288.

إن ديوان الرسائل من الدواوين الهامة في الدولة وصاحبه من أقرب الناس إلى الخليفة ويختص في المكاتبات وتحرير رسائل الخليفة وأوامره، حيث أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تبدأ عنه وتنشأ منه[1].

وكان ديوان الرسائل أحيانا يسمى بديوان الإنشاء وكان هذا الديوان يعتبر من الدواوين المهمة في الدولة الإسلامية.

وكانت له مكانة خاصة، فقد يعتبرهم الحكام نظام الأمور وكمال الملك وبهاء السلطان وهمّ الألسنة الناطقة عن الملوك[2].

ويفترض في كاتب الرسائل أن يتمتع بقدرات لغوية وأدبية، كما يتمتع بمعرفة كبيرة في أحوال النحو، وقد زخر العصر العباسي بكثير من الكتاب المبرزين الذين عرفوا بحسن الكتابة وغزارة العلم والإطلاع وفصاحة الكلام وخفة الإشارة وجودة العبارة وحلاوة المعنى أمثال: أحمد بن يوسف كاتب المأمون وصاحب ديوان رسائله، فكان من أفاضل الكتاب المأمون وأذكاهم وأفطنهم واجمعهم للمحاسن وعرف عنه حسن الإيجاز[3] وكانت له اختصاصات منها: التوقيع على الرسائل الموجهة إلى جميع الولايات والموظفين لكل مايتعلق بشؤون الدولة والنظر في الكتب الواردة والنظر في الأمور العامة أي كل ما يجلب الخير للدولة ويدفع عنها الأذى[4].

ثانيا: التدخلات السياسية للكتاب في العصر العباسي الأول:

إن موضوع الأدوار السياسية للكتاب في الدولة العباسية موضوع من المواضيع التاريخية السياسية المهمة، لعل هدف دراستنا هو معرفة مدى أثر هؤلاء الكتاب في

[1] القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص 90.

[2] حسام الدين السمرائي، التوسعات الإدارية في الدولة العباسية، ص275.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص 03.

[4] الجهشياري، المصدر السابق، ص 304.

تسيير الدولة، وكذا التقصي والاستقراء لإبراز أدوار الشخصيات مطموسة التي لعبت دورا في سياسة الدولة وإدارة شؤونها، وإبراز المكانة الهامة التي احتلها الكتاب في الدولة وأثرهم على قوتها وضعفها، وإلى أي مدى قد أخلصوا للدولة وخلفائها[1].

نلاحظ كثرة أعمال الوزارة في العصر العباسي الأول أصبح من الضروري تعيين موظفين يساعدون الوزير للإشراف على على الدواوين المختلفة وإدارة شؤونها، ومن أشهر تخصصات الكتاب في هذا العصر كاتب الرسائل وكاتب الخراج وكاتب الأحكام والخزائن وغيرهم[2].

1/ كتاب الرسائل (الإنشاء):

كما كانت تجرى في كتابة العهود والتقليدات ونسخ بين الخلفاء وبمكانة الديوان وكاتبة بدأت فيه بعناية العباسيين بديوان الرسائل في فترة الدعوة فقد أنشأ أبو سلم الخراساني ديوانا للرسائل في عهدته إلى أسلم بن صبيح لكن تنظيم الديوان إستقر في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، ففي بغداد أفرد مكانا لهذا الديوان جعله قريبا من قصره وعهد به إلى واحد من خيرة كتابه من الكتاب ومساعديه هو إبان بن صدقة[3] وقرة وأعلى شأنه، وفي عهد المهدي أصبح باستطاعة من يتولاه أن يستخلف عليه من يريد من الكتاب، كما فصلت المراسلات الخاصة بالخليفة عن مراسلات الدولة، وفي عهد الرشيد أدخل الكتاب تعديل على الكتابات الرسمية وتقاليدها، فأصبحت تصدر بالثناء على الله عز وجل والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم تعثر العناية

---

[1] مراد لكحل، نماذج من الأدوار السياسية لكتاب الخلفاء الأمويين، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة، ع 18، 2015، ص 184.

[2] دواوين الدولة العباسية هي ديوان الخراج، وديوان الزمام، وديوان الجند، وديوان البريد وديوان زمام النفقات وديوان الرسائل وديوان الجوائح وديوان الأحكام وديوان النسخ أو المقاضاة وديوان الأكرية وديوان الزنادقة، ابن خلدون، المصدر السابق، ص 205، 206، ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 214.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص 80.

بهذا الديوان بعد الرشيد إذ حافظ الكاتب على مهامه ووظائفه ومكانة في عهد المتوكل وتولاه خيرة الكتاب[1].

ونشير إلى أن هذا الديوان قائما في المركز فحسب وإنما كان هناك دواوين للرسائل في مختلف الولايات والمقاطعات، وكان عليه كاتب عرف بصاحب الديوان وكانت له بمكانة كبيرة عند الخلفاء إذ يدلون بأسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم، لذا وجب أن يكون على مستوى هذه الأهمية[2].

وكانت لصاحب الديوان والثقة والكفاءة، حيث يجتاح المتولي له إلى أن يكون متصرفا في جميع فنون المكاتبات واضعا لما يستنه في موضعه مؤهلات وشروط حتى يتولاه إذ كان للوزير أن يأمر بالمكانية في كل فن من الفنون، وتذكر المصادر أن المأمون أمره يوما أن يكتب بالزيادة في قناديل المسجد في الأمصار، ولم يكن سبق إلى هذا المعنى أحد، فسيهتدي بأسلوبه الأمر الذي أرقه حتى اهتدى إلى صيغة جديدة، فإن فيها أنسأ للسابلة وإضاءه للمجتهد...

وتنزيلا لبيوت الله عن وحشة الظلم، فهذه الأمور الغربية يحتاج الكاتب فيها أن يكون متميزا في الترسل عارفا بوجوه المعاني[3].

وتولى ديوان الرسائل خيرة الكتاب كسعدة بن سعد بن صول وعبد الملك بن حميد، وأبان بن صدفة في عهد المنصور، وفي عهد المهدي تقلده يحي بن بن خالد وإسماعيل بن جبير، ثم أبو أيوب المورياني سنة 163هـ وبقي عليه حتى سنة 167هـ، حين تقلده الربيع بن يوسف فاستخلف عليه بن سعيد بن واقد، وأخر من تولاه

[1] الطبري، المصدر السابق، ج9، ص155، ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 25، الجهشياري، المصدر السابق، ص 177، ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج2، ص 219.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص 156.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 195.

في عهد المهدي عمر بن يزيغ واستمر في عهد الهادي وفي عهد الرشيد تقلده البرامكة[1].

ثم إسماعيل بن صبيح نكتبهم وكتب لإسماعيل يحي بن سليم، وقد بقي اسماعيل بن صبيح على ديوان الرسائل طيلة عهد الرشيد فمات الرشيد وهو على الديوان، وفي عهد الأمين كان على الديوان يحي بن سليم ثم خلفه عليه إسماعيل بن صبيح حتى سنة 194هـ حين عهد الأمين به إلى علي بن صالح، ثم تولاه للمأمون في مرو علي بن سعيد وأحمد بن يوسف بن صبيح ثم تولاه عمرو بن سعدة في بغداد، أما في عهد الواثق فقد تولاه الحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات الذي أشرف على هذا الديوان في خلافة المتوك[2].

وفي عهد الرشيد أمر الرشيد إسماعيل بن صبيح أن يكتب إلى جميع العمال بما عقد بين أولاده فكتب في ذلك، وأبن قضية العهد وما فيها ومن يتولى بعد الرشيد، وختمه سنة ثمان وثمانين ومئة[3].

وبالإضافة إلى أن الكاتب شارك في إصدار القرار فهو شارك أيضا في السياسة مشاركة تعليمية، فلم يبخلوا بتوجيهاتهم على الحاكم ومرروا بضاعتهم بطرق خاصة[4].

وقد زخر العصر العباس ي بكثير من الكتاب المميزين الذين عرفوا بحسن الكتاب وغزارة العلم والإطلاع، وفصاحة الكلام وخفة الإشارة وجودة العبارة وحلاوة وجودة العبارة، وحلاوة المعاني أمثال أحمد بن يوسف الكاتب كاتب المأمون وصاحب

[1] الجهشياري، المصدر السابق 96-124، الخليفة الخياط، المصدر السابق، 442-448.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج9، ص 155.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص 265.

[4] علي أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، ص 58.

ديوان رسائله فكان من أفاضل كتاب المأمون وأذكاهم، وأقربهم للخليفة يخصه بأسرار ويأخذ بأرائه[1].

وكان أحمد بن يوسف كاتبا بليغا عُرف عنه حسن الإيجاز فقد طلب طاهر بن الحسين من الكتاب أن يكتبوا بأمر مقتل الأمين، فأطالوا فوظف له أحمد بن يوسف، فكتب في ذلك فأوجز وأجاد ومن هنا ارتفع شأنه[2].

وكذلك من كتاب الرسائل كان عمرو بن مسعدة الذي سبق ذكره، وكان كاتبا بليغا جزل العبارة وجيزها، سديد المقاصد والمعاني، ومن أهل الفضل والبراعة والشعر منهم، وقد أثنى عليه جعفر بن يحي عندما كان يكتب بين يديه، إذ وقع في رقعة رفعها غلمان وجعفر يستزيدون قليلا دائما خير من كثير منقطع، فقال له جعفر أي وزير في جلدك، وكانت له صلاحيات واسعة في السلطة وشؤونها:" فالكاتب لم يكن مجرد صائغ فتي محدث لرغبات الحاكم وأوامره بل قد يصل أحيانا إلى أن يتدخل في تكييفها أو يقتطع له قسطا من السلطة، وإذا كانت أجهزة الدولة الإسلامية تنقسم إلى وظائف القلم...ووظائف السيف...فإن نفوذ بعض قد وصل إلى الجمع بين السيف والقلم"[3]

وقال عنه الفضل بن سهل أبلغ الناس ومن بلاغته أن كل أحد سمع ظن أن يكتب مثله فإذا وأمه بعد عليه[4].

وكذلك من كتاب الرسائل نجد حسن بن وهب قلد ديوان الرسائل في عهد المعتصم، ومنهم إبراهيم بن عباس المولى وهو كاتب من أشهر الكتاب وأرقاهم لسانا كما وُصف بكونه كاتبا فصيحا منشأ قال عنه وهب بن سليمان بن وهب، كنت أكتب

---

[1] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج5، ص 216، 217.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص 216.

[3] علي اومليل، المرجع السابق، ص 53، 54.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص 475، 476.

لإبراهيم بن العباس على ديوان الضياع، وكان رجلا بليغا ولم يكن له في الخراج تقدم[1].

2/ ديوان الخراج:

وتظهر أهمية ديوان الخراج وعظم مسؤولياته من خلال قول أبي العباس بن الفرات من صلح أن يتقلد ديوان الخراج صلح للوزارة، كان متولي هذا الديوان يعرف بصاحب ديوان الخراج ومن أشهر من تولى هذا الديوان في عهد الخليفة السفاح بن خالد بن برمك وكان عليه في عهد الخليفة المهدي بن ثابت بن موسى ثم هاني بن بشير، وجاء الرشيد فقلد وزارته ليحي بن خالد البرمكي الذي عاين ثابت بن موسى على ديوان العراقيين وخراج الشام[2].

ثم قلد الرشيد إسماعيل بن صبيح ديوان الخراج والرسائل، وفي عام 179هـ تقلد ديوان الرشيد أبو هاني المروزي وبعد نكبة البرامكة قلد الرشيد هذا الديوان لأبي صالح بن عبد الرحمان ثم قلده إلى اسماعيل بن صبيح[3].

وفي عهد الخليفة الأمين كان الديوان تحت إمارة سليمان بن عمران وفي خلافة المأمون فإن اشتهر من تولى هذا الديوان الحسن بن سهل.

لقد كان الخراج يؤخذ نقدا وعلى المساحة زرعت الأرض أم لم تزرع واستمر ذلك حتى أبدل المهدي بنظام المقاسمة على الحقول وهو أخذ نسبة معينة من الحاصل وأبقى المهدي خراج النخل والكرم والشجر، وفضل بعضه على بعض حسب قربه من الأسواق، وكان الذي أشار عليه بذلك وزيره عبيد الله بن يسار[4].

---

[1] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج6، ص44.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص 277.

[3] الجهشياري، المصدر نفسه، ص 256.

[4] الماوردي، المصدر السابق، ص 168-176.

ولما تولى الرشيد أراد أن يتبنى ما رسم الشرع الحنيف في شؤون الضرائب، فطلب من القاضي أبو يوسف أن يضع له كتابا، فكان نتيجة لذلك أن ألف أبو يوسف كتاب الخراج، وأهم ماجاء في هذا الكتاب أن يقاسم أهل الخراج ما أثمر من النخل والشجر واقترح أبو يوسف إلغاء الرسوم الإضافية وأشار كذلك إلى العديد من المساوئ فيما يتعلق بظلم العمال لأهل الخراج وتعذبيهم من أهل الجباية[1].

وفي زمان المنصور كان إذا أصاب الزرع خراب أو حيف، لم يسقط عنه الخراج وإنما يؤجل إلى السنة المقبلة فعندما توسط عمارة بن حمزة إلى كاتب المهدي أبي عبيد الله، وكان المهدي أنئذ ينوب عن المنصور ببغداد، وكان إسقاط الخراج عن المقربين موجودين في عهده وأصبح من أعمال العمال المعروفة حتى ابنه أبو يوسف إلى ذلك ومنع فعله، ولم تقد نصيحة أبو يوسف[2].

وكان الولاة أحيانا يهبون الخراج أو شيئا منه لمقربيهم، واهتم المأمون بتخفيف وطأة الخراج، اقام المأمون في سنة 214هـ بدمشق لمسح الأراضي الشام، وقد أشار أبو يوسف إلى سوء تصرف أعوان جباة الخراج الذين قد يكونون ليسوا بأبرار ولا صالحين يستعين بهم ويوجههم في أعماله، يقتضي بذلك الذمامات، وإنما مذهبهم خذ شيء الخراج كان من أمواله أو من أموال الرعية، ثم إنهم يأخذون ذلك بالعنف والظلم والتعدي[3].

[1] عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 365.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص 91، عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 205.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص 279، عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 42.

خـــاتمـــــــة

خاتمــة

من خلال تناولنا لموضوع دور الخاصة في السلطة خلال العصر العباسي الأول واطلاعنا على المصادر والمراجع المتخصصة توصلنا الى النتائج التالية:

كان للعلماء في العصر العباسي الأول مشاركات فعالة في الحياة السياسية وذلك من خلال مشاركاتهم في أجهزة الدولة أو عبر توجيههم لسياسة الخلفاء والأمراء عن طريق المواعظ والنصائح التي كانوا يسدونها إليهم أو بالمعارضة وفضح انحرافات الخلفاء والأمراء ومخالفاتهم أو عن طريق السياسة بوصفه نوعا من الاحتجاج الصامت على ما لا يرضونه من سياساتهم ، وقد تعاملوا معهم وفق منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان بعض أفراد هذا الفريق عارض الخلفاء وجاهرهم بعيوبهم وفق أسلوب لا يخلو من الغلظة والتقريع وهو ما يندرج ضمن التغيير باللسان.

اما المعتزلة فقد مارسوا عند وصولهم إلى السلطة ألوانا من الإرهاب الفكري ضد مخالفيهم خصوصا علماء السنة لحملهم على الاعتقاد بمذهبهم .

وكما يتضح لنا من هذه الدراسة أهمية الوزارة في العصر العباسي الأول والدور الذي لعبه وزراء هذا العصر على مسرح أحداث العالم الإسلامي في الفترة الممتدة من 132هـ_232هـ ، في عصر يعتبره المؤرخون عصر ازدهار الخلافة العباسية.

كان للدور الذي لعبه وزراء العصر العباسي الأول في هذا العهد نتائج خطيرة في مجرى الأحداث ، وخير دليل على ذلك الدور الهام الذي لعبه الوزراء البرامكة وهم أبرز وزراء الدولة العباسية إذ ارتقى شأنهم في أقاليم الدولة كافة، حتى أصبحت أمور الدولة بين أيديهم يديرون شؤونها كيفما يرون ويتبنون دعائمها سياسيا ،

لم يعد الخليفة هارون الرشيد يحتمل أن يشاهد إلى جانبه سلطانا مثل سلطانه وبلاطا آخر غير بلاطه، مما اضطره في النهاية إلى نكبتهم جميعا ، تلك النكبة التي تعتبر من الحوادث التاريخية الكبرى التي غيرت وجه التاريخ ، لأنهم لو لم يجعل بهم الرشيد

لكان الأمر في المدة الباقية من أيامه وفي أيام خلفه ، غير ما كان ولكانت معرفتنا بتاريخ الدول الإسلامية غير ما عرفنا .

ويتجلى لنا مما ذكرنا عن الكتاب أنهم كانوا بأعلى مرتبة ، فهم الوزراء وهم المستشارون واهم أسندت أمور السياسة والرئاسة وبهم تحصن الخليفة وإليهم لجأ ، وهكذا كان دور الكتاب بارزا على الساحة السياسية إبان فترة الحكم العباسي مما يوحي أنهم كانوا محركا فعالا في الدولة .

و كان لكتاب العصر العباسي الأول دور كبير في ترشيد سياسة الخلفاء فهم لم يكونوا مجرد صانعين فنيين لرغبات الخليفة بل بحكم موقعهم في السلطة كانت لهم اليد الطولى في حمل الخلفاء على سياسات معينة ، فمرَروا بضاعتهم بطرق خاصة .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم: (رواية ورش عن نافع).

أولا/ المصادر:

1- ابن الآبار: ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي(ت658هـ)، اعتاب الكتاب، تحقيق: صالح الاشتر، ط1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م.

2- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت 630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي ج5،ج6،ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

3- ابن الأزرق: ابو عبد الله(ت 896هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتصنيف: علي سامي النشار، ج1، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م.

4- الأندلسي: أحمد بن محمد بن عبد ربه(ت 368هـ/979م)، العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الرحيني، ج2، ج4، ط1، دار الكتب العليمة، بيروت، 1983م.

5- الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيصابوري(ت 429هـ/1038م)، تحفة الوزراء، تحقيق ودراسة: سعد أبو دية، ط1، دار النشر مركز جوهرة القدس التجاري العبدلي، عمان، الأردن، 1994م.

6- الجهشاري: أبي عبد الله محمد بن عبدوس(ت 331هـ/943م)، الوزراء والكتاب، د: ط، دار الفكر الحديث، بيروت، د: ت،

7- ابن الجوزي: الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت 597هـ)، صفوة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، ج2، ج4، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1985م.

8- الخطيب البغدادي: الحافظ ابو بكر أحمد بن علي(ت 463هـ/1070م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج3، ج5، ج6، ج7، ج9، ج14، د: ط، القاهرة، 1931م.

9- ابن خلدون: ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الخضرمي(ت808هـ/1405م)، مقدمة، مراجعة: سهيل زكار، د:ط، دار الفكر، بيروت، 2001م.

10- ـــــــ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، ج1،ج3، د:ط، دار الفكر، بيروت، 2000م.

11- ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج3، ج6، د: ط، دار صادر، بيروت، د: ت.

12- بن خياط: خليفة (ت 240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط2، دار طيبة، الرياض، 1985م.

13- الدينوري: أبي حنيفة أحمد بن داود(282هـ/895م)، أخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، د: ط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإسكندرية، د:ت .

14- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج1، ج7، ج8، ج9، ج10، ج11، ج12، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م

15- ـــــــ تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار غواد معروف،ج 1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م

16- الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير(ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2،ج6، ج7، ج8، ط2، دار المعارف، مصر، 1975م.

17- ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبة(709هـ/1309م)، الفخري في الآداب السلطاينة والدول والإسلامية د:ط، دار صادر، بيروت، د: ت.

18- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري(ت230هـ/845م)، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، ج6، ج7، ط2، مكتبة الخانكي، القاهرة مصر 2002م.

19- ابن عساكر الدمشقي: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(ت571هـ/1175م)، تذيب تاريخ دمشق، تحقيق: بدران، ج21، ج38، ج53، ج63، ج68، دمشق، 1333م.

20- ابن قتيبة: ابو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت276هـ/889م)، الإمامة والسياسة(تاريخ الخلفاء)، ج2، ط1، دار الاضواء للطباعة والنشروالتوزيع، بيرو، لبنان، 1990م.

21- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي(ت821هـ/1918م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1،ج3، د: ط، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.

22- ابن كثير: عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر(ت 747هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي، ج1، ج5، ج10، ط1، دار هجرة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، 1998م.

23- الماوردي: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت450هـ/1058م)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ج1، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.

24- مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج3، نشر دار خوية، لندن، 1871م.

25- المسعودي: ابي الحسن علي بن الحسن بن علي(ت346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة: كمال حسني مرعي،ج2، ج3، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، د: ت.

26- ابن منظور: ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ/1311م)، لسان العرب، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، ج3، ج4،ج5، ج38، د:ط، دار صادر بيروت، د:ت.

27- ابو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصفهاني(ت430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج6، ج7، ج8، ج9، د:ط، دار الفكر، بيروت، 1996م.

28- ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله الرومي البغدادي(ت 626هـ/1229م)، معجم البلدان ،ج1،ج2، ج4،ج5،ج10،ج16،ج19، د:ط، دار صادر، بيروت، 1977م.

29- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح(ت 284هـ/897م)، تاريخ اليعقوبي، ج3، نشر دار صادر، بيروت، 1960م.

30 -ـــــــ،معجم البلدان، ج1، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ.

ثانيا/ المراجع

1- ابراهيم حسن حسن ، تاريخ الإسلام ، ط15 ، دار الجيل ، بيروت ، 2015.

2- اوملیل علي : السلطة الثقافية والسلطة السياسية ، ط 1 ، دار النشر بيروت ، سنة 1996.

3- ايوب ابراهيم: التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ط1 ، دار الكتاب العالمي ، بيروت ، لبنان ، 1989.

4- الخضري بك محمد : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، راجعه : نجوى عباس ، ط: 1 ، مؤسسة دار المختار ، القاهرة ، 2003 م .

5- الدوري عبد العزيز: العصر العباسي الأول ، دراسة في التاريخ السياسي و الأذري والمالي ، ط1 ، 1945 ، ط2 1988 ، ط3 1997 ، دار الطبيعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د ت.

6- ـــــــــــــ : النظم الإسلامية ، ط1 ، إعداد مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2008.

7- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين : العلماء والسلطة دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول ، د.ط ، كلية الآداب ، جامعة تعز ، 2008_2009.

8- غلم الدين مصطفى : الزمن العباسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1993.

9- فاروق عمر فوزي: الثورة العباسية ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1989 ، ط1 ، 1988.

10- قباني محمد : الدولة العباسية من الميلاد إلى السقوط ، ط1 ، دار الأصالة ، 2010.

11- هولو جودت فوج : البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم ، ط1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1990

12- سالم عبد العزيز: دراسات في التاريخ العرب العصر العباسي الأول ، جزء 3 ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1993 .

13- السامرائي حسام الدين: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة 247_334هـ/861هـ_945م ، ط2 ، دار الفكر العربي ، ط2 ، د ت.

14- سامعي اسماعيل: معالم الحضارة العربية الإسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر ، 2007 .

15- سعد فهمي : العامة في بغداد في القرنين 3و4هـ ، ط1 ، دراسة في التاريخ العباسي الاجتماعي ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، 1993هـ

16- سلمان الكروى ابراهيم: نظام الوزراء في العصر العباسي الأول ، ط2 ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع الاسخندري ، 1989.

المجلات:

1- إسماعيل فايزة: وزراء العصر العباسي الأول : 132_232هـ ، مجلة مؤرخ العربي ، العدد 08، مجموعة 01 ، سنة 2000.

2- التنوخي محسن: الوزراء في العصر العباسي من خلال كتاب الفرج بعد الشدة ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد 10 ، العدد 1 ،سنة 2010.

3- رفاد تقي الدين عارف: العامة في بغداء في العصر العباسي الأول والثاني (132-334هـ/749-946م)، جامعة بغداد/كلية التربية- ابن رشد، مجلد7، العدد25،سنة 2010.

4- لكحل مراد: نماذج من التدخلات السياسية للكتاب في الدولة الأموية،مجلة الآداب والحضارة الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، جزائر عدد 18 ، ذو الحجة ، 1436هـ/سبتمبر 2015م .

فهرس المحتويات

فهرس المحتوى

الموضوع الصفحة

كلمة شكر

إهداء

المقدمة: ..... أ- ت

تمهيد: 6-12

الفصل الأول: العلماء بين تأييد الخليفة والمسؤولية العلمية 14-36

أولا: علماء السلطة ودورهم في العصر العباسي الاول 17-24

ثانيا: المعارضون ودورهم في السلطة.....25-29

ثالثا: الخلفاء والمعتزلة ومحنة أهل السنة 30-36

الفصل الثاني: الوزراء وتأثيرهم في السلطة خلال العصر العباسي الأول.... 38-67

أولا: البرامكة واستحواذهم على السلطة 38-52

ثانيا: آل سهل ودورهم في الصراع بين الأمين والمأمون 53-67

الفصل الثالث: كتاب الخلفاء العباسين وتأثيراتهم السياسية 69-78

أولا: تعدد تخصصات الكتاب ومهامهم.....69-72

ثانيا: التدخلات السياسية للكتاب في العصر العباسي الأول ..... 72 -78

خاتمة:..... 80 -81

الوراقية:..... 83 -88

فهرس المحتوى..... 90-90

تم بحمد الله